فض الختم بشرح دعاء الختم

لسيدنا و بركتنا الحبيب سقاف بن محمد بن عيدروس بن سالم الجفري

و تكميله لنجله السيد العلامة المتفنن علوي بن سقاف الجفري

رضي الله عنهما و نفعنا بهم

اعتنى به خادم أعتابهم

عبد الله بن هادي العطاس

٢٠٢٤

معهد مشهد النور لتربية الأخلاق و الآداب

تبّت، جاكرتا الجنوبية جاوة الغربية إندونيسيا

[مقدمة الخادم[1]]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين و رضي الله عن أصحابه البررة المتقين و من تيعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فهذا بين يدي القارئ الكريم شرح لطيف على دعاء الفصول المنسوب لسيدنا و مولانا الإمام السجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لسيدنا العلامة الحبيب سقاف بن محمد الجفري رحمه الله و نفعنا به آمين.

ظفرت بنسخة وحيدة في مكتبة سيدي الجد الحبيب البركة و النعمة المشتركة عبد الرحمن بن شيخ بن سالم بن عمر العطاس متعنا الله به بطول حياته في الصحة والعافية، وكان الفراغ من نسخها سنة **١٣٧٥**هـ بقلم السيد علوي بن عبد الله العيدروس بسربايا إندونيسيا.

---

١ لست محققا و إنما خادما ضعيفا لهذا الكتاب، ودافعي الأوحد إلى هذا العمل هو شغفي بهؤلاء القوم و محبتي لهم، لعل الله تعالى يحشرني مع من أحببت يوم القيامة كما قال حبيبه ﷺ .

و في ظني القاصر، قد كانت هذه النسخة بين يدي السيد العلامة المؤرخ علوي بن طاهر الهدار الحداد رحمه الله، وذلك لما وجدته في التعليق، من قوله : (الكتاب المذكور هو الصحيفة المنسوبة إلى سيدنا الإمام علي زين العابدين و هي بحمد الله عندنا و نسبتها إلى سيدنا الإمام زين العابدين صحيحة محققة وسندها موجود عندنا اهـ **كتبه ١١٦ الحداد** اهـ) فـ(علوي) : ٧٠+٣٠+٦+١٠= **١١٦**، هذا أولًا.

وثانيًا : قوله (وسندها موجود عندنا) يؤكده ما وجد بخطه في رسالة أرسلها لصديقه العلامة محمد ين عقيل بن يحيى العلوي : قال السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي : «مما أفادني به الأخ علوي بن طاهر الهدار الحداد و مع كتاب منه وصلني في ربيع الأول سنة **١٣٤١**هـ إلى المكلا...» فذكر السند برمته، و سيأتي الكلام عليه بعد ترجمة المؤلف و الشارح.

وعملي في هذا الشرح : كتابته، و تصحيح بعض التصحيف، و عزو الحديث إلى كتب السنة مرقما، و ربما ذكرت قول الحفاظ أهل الحديث في التصحيح و التضعيف (وكل ذالك بحسب الإمكان)، دون ما اتفق عليه الشيخان (البخاري و مسلم) فأشرت إليه بـ(متفق عليه)، و أما في التصحيح، إن كان من السيد علوي فبـ(ع) وأما من العبد الضعيف فبـ(خ). وتركت العزو للآيات الواردة في الشرح لأن

الشارح كان من عادته خلط الشرح بالنصوص فلذالك تأتي الآية مقطعة لأنه مقتبس.

وأرجو من الناظر إلى هذه النسخة أن يصحح ما وقعتُ فيها من خطأ، والعبد المحب يقبل العتاب، لأن في ذلك سدًّا للخلل وجبرًا للعلل وإنقاذًا لي من العقاب، وسوء المآب. وأستغفر الله العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

جاكرتا **٢٦** جمادي الآخر سنة **١٤٤٦**هـ

عبد الله بن هادي العطاس

عفا الله عنه وغفر لوالديه آمين.

ترجمة المؤلف[1]

الفصل الرابع : في ذكر عليّ بن الحسين عليهماالسلام زين العابدين

وهو الإمام الرابع

من الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة وثبت بالآثار المتواترة.

- ولد عليّ بن الحسين عليهماالسلام بالمدينة نهار الخميس الخامس من شعبان المكرّم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيّام جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل وفاته بسنتين .

- نسبه عليه السلام : هو عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد تقدّم بسط ذلك .

- كنيته عليه السلام : المشهورة أبو الحسن ، وقيل : أبو محمّد ، وقيل : أبوبكر.

- وأمّا لقبه عليه السلام فله ألقاب كثيرة كلّها تطلق عليه أشهرها زين العابدين عليه السلام وسيّد الساجدين عليه السلام، والزكي، والأمين، وذوالثفنات.

---

[1] أنقلها من «الفصول المهمة» للإمام ابن الصباغ المالكي.(خ)

- وصفته عليه السلام : اسمر قصير رقيق.

- شاعره : الفرزدق وكُثيِّر عَزَّة.

- بوابه عليه السلام : أبو جيله.

- نقش خاتمه عليه السلام ﴿وما توفيقي إلاّ بالله ﴾.

- ومعاصره : مروان وعبد الملك والوليد ابنه.

- أمّا مناقبه عليه السلام فكثيرة ومزاياه شهيرة : منها : أنّه كان إذا توضّأ للصلاة يصفرّ لونه ، فقيل له : ما هذا [الّذي] نراه يغشاك عند الوضوء؟ فيقول : ماتدرون بين يدي من اُريد أن أقوم ؟. وعن أبي حمزة الثمالي قال : كان عليّ بن الحسين عليهماالسلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة. وعن طاووس قال : دخلتُ الحجر في الليل فإذا عليّ بن الحسين عليهماالسلام قد دخل فقام يصلّي فصلّى ما شاء الله تعالى ثمّ سجد سجدةً فأطال فيها ، فقلتُ : رجل صالح من [أهل] بيت النبوّة لأصغينّ إليه فسمعته يقول : «عُبَيْدُكَ بفنائك ، مِسكينُكَ بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك» قال طاووس : فوالله ما صلّيت ودعوت فيهنّ في كرب إلاّ فرّج عنّي. ومنها: ما نقله سفيان قال : جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليهماالسلام فقال له : إنّ فلانا

قد وقع فيك وآذاك بحضوري، فقال له: انطلق بنا إليه ، فانطلق معه الرجل وهو يرى أنه يستنصر لنفسه ، فلمّا أتاه قال له : يا هذا إن كان ما قلت في حقّنا فأنا أسأل الله تعالى أن يغفره لي، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً فإنّ الله تعالى يغفره لك ، ثمّ ولّى عنه.

- ومن كلامه عليه السلام: ضلّ مَن ليس له حكيمٌ يرشده ، وذلّ مَن ليس له سفيهٌ يعضده .

- وقال عليه السلام: أربع فيهنّ الذلّ : البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو كيف الطريق.

- وقال عليه السلام: عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرّته كيف لايحتمي من الذنب وقال عليه السلام: لمعرّته.

- وقال عليه السلام: إيّاك والابتهاج بالذنب فإنّ الابتهاج به أعظم من ركوبه .

- وقال عليه السلام: من ضحك ضحكةً مجّ من عقله مجّة علم .

- وقال عليه السلام: إن الجسد إذا لم يمرض أشر ولاخير في جسد يأشر .

- وقال عليه السلام: فقد الأحبّة غربة .

- وقال عليه السلام: من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس .

- وعنه عليه السلام يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وانتظار الفرج عبادة، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه القليل من العمل .

- وكان عليه السلام يتصدّق سرّا ويقول: صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ .

وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين عليه السلام .

وقال محمّد بن إسحاق : كان اُناس من أهل المدينة يعيشون ولايدرون من أين معاشهم ومأكلهم ، فلمّا مات عليّ بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم .

وقال سفيان : أراد عليّ السفر إلى الحجّ وقد صنعت له في إحدى سفراته اُخته سكينة زادا نفيسا أنفقت عليه ألف درهم فلحقوه بها إلاّ أنه لمّا كان بظهر الحرّة أمر بتوزيعه على الفقراء والمساكين فوزّع عليهم .

وعن إبراهيم بن عليّ عن أبيه قال : حججتُ مع عليّ بن الحسين فالتأثت عليه ناقته فأشار إليها بالقضيب ثمّ ردّ يده وقال : آه من القصاص ، وتلكّأت ناقته عليه مرّة

أُخرى بين جبال رضوى فأناخها وأراها القضيب وقال : لتنطلقين أو لأفعلنّ ، ثمّ ركبها فانطلقت ولم تتلكّأ بعدها أبدا.

وجلس إلى سعيد بن المسيّب فتىً من قريش فطلع عليّ بن الحسين عليه السلام فقال القرشي لابن المسيّب : مَن هذا يا أبا محمّد فقال : هذا سيّد العابدين عليّ بن الحسين.

فكان الزهري يقول : لم أرَ هاشميا أفضل من عليّ بن الحسين عليهماالسلام.

وقال أبو حمزة الثمالي : أتيت باب عليّ بن الحسين عليهماالسلام فكرهت أن اُنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلّمت عليه ودعوت له فردّ عليَّ السلام ودعا لي ، ثمّ إنتهى بي إلى حائط [له] فقال : يا أبا حمزة ألاترى هذا الحائط؟ فقلت : بلى يابن رسول الله، قال: فإني متكئ عليه يوما وأنا حزين مفكّر إذ دخل عليَّ رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الرائحه فنظر في اتجاه وجهي ثمّ قال لي : يا عليّ بن الحسين مالى أراك كئيبا حزينا؟! أعلى الدنيا؟ فهو رزق حاضر يأكل منه البرّ والفاجر، فقلت : ما عليها أحزن وأنها كما تقول ، فقال : على الآخرة؟ فهو وعدٌ صدقٌ يحكم فيه مِلِكٌ قاهر ، فقلت : ما على هذا أحزن وأنها كما تقول ، فقال : فعلام حزنك؟ قلت : الخوف من فتنة ابن الزبير . قال : فضحك ثمّ قال : يا عليّ هل رأيت أحدا سأل الله تعالى فلم يعطه؟ [قلت : لا ، قال : وهل رأيت أحدا خاف

اللّه فلم ينجه؟] قلت : لا ، ثمّ نظرت فإذا ليس قدّامي أحد فتعجّبت من ذلك ، فإذا بقائل أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول:يا عليّ بن الحسين هذا الخضر ناجاك.

وعن أبي عبد اللّه الزاهد قال : لمّا ولّى عبدالملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، من عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجّاج بن يوسف . أمّا بعد ، فانظر دماء بني عبدالمطّلب فاجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلاً ، والسلام . قال وبعث بالكتاب سرّا إلى الحجّاج وقال له : اكتم ذلك . فكوشف بذلك عليّ بن الحسين عليهماالسلام حين الكتابة إلى الحجّاج وأنّ اللّه تعالى قد شكر ذلك لعبد الملك ، فكتب عليّ بن الحسين من فوره : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، إلى عبدالملك بن مروان من عليّ بن الحسين . أمّا بعد ، فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجّاج سرّا في حقّنا بني عبدالمطّلب بما هو كيت و كيت، وقد شكر اللّه لك ذلك . ثمّ طوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبدالملك بن مروان وذلك من المدينة الشريفة إلى الشام ، فلمّا قدم الغلام على عبدالملك أوصله ا الكتاب ، فلمّا نظره وتأمّل فيه فوجد فيه تاريخه موافقا لتاريخ كتابه الّذي كتبه إلى الحجّاج في اليوم والساعة فعرف صدق عليّ بن الحسين وصلاحه ودينه ومكاشفته له ، فسرّ

بذلك وبعث له مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة فاخرة وسيّره إليه من يومه وسأله أن لايخليه من صالح دعائه

. وقدم على عليّ بن الحسين عليه السلام نفرٌ من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ما قالوا ، فلمّا فرغوا من كلامهم قال لهم عليّ بن الحسين عليه السلام : ألا تخبروني من أنتم؟ أنتم ﴿الْمُهَـجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَرِهِمْ وَأَمْوَلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُو أُوْلَاءِكَ هُمُ الصَّدِقُونَ﴾ قالوا : لا ، قال : فأنتم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَيَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقالوا : لا ، فقال : أمّا أنتم فقد تبرّأتم أن تكونوا من هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله في حقّهم ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنم بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَنِ وَلاَتَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اخرجوا عنّي فعل الله بكم وصنع .

وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين قال : أوصاني أبي وقال : يابني لاتصحب خمسة ولاتحادثهم ولاترافقهم في طريق ، فقلت : جعلت فداك ومَن هؤلاء الخمسة؟ قال : لا تصحبن فاسقا ، يبيعك بأكلة فما دونها ، فقلت : وما دونها؟ قال : يطمع فيها ثمّ لاينالها . قلت : ومَن الثاني؟ قال : البخيل ، فإنّه يقطع

بك أحوج ما يكون إليك . قلت : ومَن الثالث؟ قال : الكذّاب ، فإنّه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب إليك البعيد . قلت : ومَن الرابع؟ قال : الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك . قلت : ومَن الخامس؟ قال : قاطع الرحم ، فإنّي وجدته ملعونا في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى .

وعن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ليقم أهل الفضل ، فيقوم أُناس من الناس فيقال [لهم] : انطلقوا إلى الجنّة ، فتتلقّاهم الملائكة فيقولون لهم إلى أين؟ فيقولون لهم إلى الجنة ، قالوا : قبل الحساب؟ قالوا : نعم ، قالوا : ومَن أنتم؟ قالوا : نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم؟ قالوا : كنّا إذا جهل علينا حلمنا وإذ أُسيء إلينا غفرنا ، قالوا : ادخلوا الجنّة فنِعمَ أجر العاملين . ثمّ ينادي منادٍ أيضا : ليقم أهل الصبر ، فيقوم أُناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنّة ، فتتلقّاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : وماصبركم؟ فيقولون : صبّرنا أنفسنا على طاعة الله وصبّرنا أنفسنا عن معصية الله ، فيقولون لهم : ادخلوا الجنّة فنِعمَ أجر العاملين. ثمّ ينادي[منادٍ] : ليقم جيران الله في داره ، فيقوم أُناس من الناس وهم قليل فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنّة ، فتتلقّاهم الملائكة فتقول لهم مثل ذلك وبماذا

جاورتم الله في داره؟ فيقولون : كنّا نتحابّ في الله ونتزاور في الله ، قالوا : ادخلوا الجنّة فنِعمَ أجر العاملين.

وقال أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي في كتاب نثر الدرّ : نظر عليّ بن الحسين عليه السلام سائلاً يسأل وهويبكي فقال : لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا ثمّ سقطت منه ما كان ينبغي له أن يبكي عليها.

وعن محمّد بن حرب قال : أوصى عليّ بن الحسين عليه السلام ولده أبا جعفر محمّد فقال : يا بني اصبر للنوائب ولاتتعرّض للحقوق ولاتعط نفسك ماضرّه عليك أكثر من نفعه عليك.

وقال أبو حمزة الثمالي : كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول لأولاده : يابنيَّ ، إذا أصابتكم مصيبة من مصائب الدنيا أو نزلت بكم فاقة أو أمرٌ فادح فليتوضّأ الرجل منكم وضوء للصلاة وليصلّ أربع ركعات أو ركعتين ، فإذا فرغ من صلاته فليقل : يا موضع كلّ شكوى ، يا سامع كلّ نجوى ، يا شافي كلّ بلوى، ويا عالم كلّ خفية ، ويا كاشف ما يشاء من كلّ بلية ، و يا منجي موسى ، ويا مصطفي محمّد ، ويا متخذا إبراهيم خليلاً ، أدعوك دعاء من اشتدّت فاقته وضعفت قوّته وقلّت حيلته دعاء الغريق الغريب الفقير الّذي لايجد لكشف ماهو فيه إلاّ أنت يا أرحم

الراحمين ، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، قال عليّ بن الحسين عليه السلام لايدعو أحدٌ بهذا الدعاء أصابه بلاء إلاّ فرّج الله عنه.

ومن دعائه عليه السلام : اللّهمّ كما أَسَأتُ وأَحْسَنْتَ إليَّ فإن عدتُ فعُد عليَّ.

ويروى أن عليّ بن الحسين عليه السلام اعتلّ فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يعودونه فقالوا : كيف أصبحت يابن رسول الله فدتك أنفسنا؟ قال : في عافية والله المحمود على ذلك ، كيف أصبحتم أنتم جميعا؟ قالوا : كيف أصبحنا لك والله يابن رسول الله محبّين وادّين ، فقال : مَن أحبّنا لله أدخله الله ظلاًّ ظليلاً يوم لاظلّ إلاّ ظلّه ، ومَن أحبّنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنّا الجنّة ، ومَن أحبّنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لايحتسب.

وحكي أنه لـمّا حجّ هشام بن عبدالملك في حياة أبيه دخل إلى الطواف وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه ، فنصب إليه منبر إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه وحوله جماعة من أهل الشام ، فبينماهم كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين عليه السلام يريد الطواف ، فلمّا إنتهى إلى الحجر الأسود تنحّى الناس عنه حتّى استلم الحجر فقال رجل من أهل الشام : مَن هذا الّذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحّوا عنه يمينا وشمالاً؟ فقال هشام : لا أعرفه ،

مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضرا ، فقال للشامي : أنا أعرفه ، فقال الشامي : مَن هو يا أبا فراس؟ فقال :

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته * والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابن خير عباداللّه كلّهمُ * هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمي إلى ذروة العزّ الّتي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحته * ركن الحطيم إذا ماجاء يستلمُ
يغضي حياءً ويغضي من مهابته * فلا يكلّم إلاّ حين يبتسمُ
بكفّه خيزرانٌ ريحه عبق * من كفّ أروع في عرنينه شممُ
ينشقّ نور الهدى من نور غرّته * كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلمُ
مشتقّة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشِيمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجدّه أنبياء اللّه قد ختموا
الله شرّفه قدما وفضّله * جرى بذاك له في لوحة القلمُ
فليس قولك مَن هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجمُ
كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهما * تستوكفان ولايعروهما العدمُ
سهل الخليقة لاتخشى بوادره * يزينه اثنان حُسن الخلق والكرمُ
حمّال أثقال أقوام إذا قدحوا * حلو الشمايل تحلو عنده نعمُ
لايخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الفناء أريبٌ حين يعترمُ
عمَّ البرّية بالإحسان وانقشعت * عنه الغباوة والإملاق والعدمُ
من معشر حبّهمُ دين وبغضهمُ * كفر وقربهمُ منجىً ومعتصمُ

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل مَن خير أهل الأرض قيل هُمُ

لايستطيع جوادٌ بُعد غايتهم * ولايدانيهم قومٌ وإن كرموا

همُ الغيوث إذا ما أزمة أزمت * والأُسد أُسد الشري والبأس محتدمُ

لاينقصُ العسرُ بسطا من أكفهمُ * سيّان ذلك إن أثروا وإن عُدِموا

مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ * في كلّ بدو ومختوم به الكلمُ

يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتمهم * خيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هُضُمُ

أيّ الخلائق ليست في رقابهمُ * لأوّليةِ هذا أوْ له نِعَمُ

من يعرف الله يعرف أوّلية ذا * والدين من بيت هذا ناله الأُممُ

قال : فلمّا سمع هشام هذه القصيدة غضب ، ثمّ إنّه أخذ الفرزدق وحبسه ما بين مكة والمدينة ، وبلغ عليّ بن الحسين امتداحه فبعث باثني عشر ألف درهم فردّها وقال : والله ما مدحته إلاّ لله تعالى لا للعطاء ، فقال : قد عرف الله له ذلك ولكنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لانستعيده، فقبلها منه. وقال الفرزدق من قصيدة يهجو هشاما في حبسه له:

أتحبسني بين المدينة والّتي * إليها قلوب الناس تهوي

يقلّب رأسا لم يكن رأس سيّد * وعينا له حولاء باد عيوبها

- توفي عليّ بن الحسين زين العابدين في الثاني عشر من المحرّم سنة أربع وتسعين من الهجرة وله من العمر سبع وخمسون سنة أقام منها مع جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام سنتين ، ومع عمّه أبي محمّد الحسن

بعد وفاة جدّه عليّ عليه السلام أحد عشر سنة ، وكان بقاؤه بعد مصرع أبيه ثلاثا وثلاثين سنة .

- يقال : إنه مات مسموما وإنّ الّذي سمّه الوليد بن عبدالملك، ودُفن بالبقيع في القبر الّذي دُفن فيه عمّه الحسن في القبّة الّتي فيها العبّاس بن عبدالمطّلب.

وقال ابن سعد : كان عليّ بن الحسين عليه السلام مع أبيه بطفّ كربلاء وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة لكنه كان مريضا ملقى على فراشه وقد انهكته العلّة والمرض ، ولمّا قتل والده [الحسين] قال الشمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا الغلام،فقال بعض أصحابه: [سبحان الله] تقتل فتىً مريضا لم يقاتل؟ فتركوه . قال ابن عمر هذا القول هو الصحيح.

وليس قول من قال بأنه كان صغيرا حينئذٍ لم يقاتل وأنه ترك بسبب ذلك الشيء.

- أولاد عليّ بن الحسين خمسة عشر ولدا مابين ذكرٍ وأُنثى ، أحد عشر ذكرا وأربع إناث ، وهم : محمّد المكنّى بأبي جعفر الملقّب بالباقر ، أُمّه أُمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وزيد وعمر ، أُمّهما أُمّ ولد . وعبد الله والحسن والحسين ، وأُمّهم أُمّ ولد . والحسين الأصغر وعبدالرحمن وسليمان ، أُمّهم أُمّ ولد . وعليّ وكان أصغر ولد عليّ بن الحسين وخديجة ،

وأُمّهما أُمّ ولد . وفاطمة وعليّة وأُمّ كلثوم ، أُمّهن أُمّ ولد . فهؤلاء أولاده عليه السلام [ونفعنابهم وحشرنا في زمرتهم] اهـ

ترجمة الشارح[1]

- نسبه : هو السيد العلامة سقاف[2] بن محمد بن عيدروس بن سالم بن حسين بن عبد الله بن شيخان بن علوي بن عبد الله التريسي بن علوي بن أبي بكر الجفري بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى الرومي بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي و ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم.

---

[1] أنقلها من تاريخ الشعراء الحضرميين (١\٦٦) بحذف يسير.(خ)

[2] و في العقد (١\٦٩١) أن اسمه الكامل «عبد الرحمن السقاف، أبو جعفر»

علامة خطير وفقيه نحرير و صوفي شهير له مشيخته العلمية و الصوفية و مكانته الإجتماعية.

- مولده بمدينة تريس عام **١١٧٧** من الهجرة وبها ممرحه الصبائي على رقابة أبويه، و من يراه في السنة الثالثة من ميلاده يجده ممتازا على أقرانه بيقظة ذهنه المبكرة.

و في تاريخ ابن حميد أنه أكمل دراسة القرآن الكريم قبل السنة السابعة من عمره وهل بعد دراسة القرآن الا الحياة العلمية لمثله العلوي، فيشاهده التريسيون وغيرهم متفقها عن أبيه و جده لأمه الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الرحيم بن قاضي باكثير[١] مستديما متعلما عليهما سنوات حتى حاز فيها ما حاز من موفور الفقه وغيره.

- شيوخه : منهم العلامة السيد حامد بن عمر المنفر و الجد العلامة السيد سقاف بن محمد بن عمر السقاف و العلامة السيد جعفر بن أحمد بن زين الحبشي و العلامة السيد عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف و العلامة

---

[١] ترجمته في «البنان المشير» (ص**١٣٦**)

السيد علي بن شيخ بن شهاب و عليه مهر في عديد من العلوم و الفنون كما في العقد اليواقيت.

- تلاميذه : على ناصيتهم : العلامة السيد محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، العلامة السيد حسن بن صالح البحر الجفري، العلامة طاهر بن حسين بن طاهر، العلامة السيد عبد الله بن حسين بلفقيه، العلامة السيد أحمد بن علي بن هارون الجنيد، العلامة الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير.

وفي ثبت ابنه العلامة السيد علوي بن سقاف أنه تخرج عليه دراسا في كافة العلوم كما أفصح عقد اليواقيت عن كثيرها و كتب من منظومها و منثورها. ويخبرنا تلميذه العلامة السيد أحمد بن علي بن هارون الجنيد في «الدر المزهر» أنه اجتمع به في مدينة رداع و مدينة نصاب عام **١٢١٦**هـ وشاهده متجرا و مدرسا فعكف عليه بهما مع العاكفين المتعلمين.

- وفاته : انتقل إلى جوار الحي القيوم بتريس يوم الأربعاء **٧** شعبان عام **١٢٣٩**هـ و ضريحه معروف بها و مشهور في جانبها الغربي له زائروه.

ثم هل ندع من يشاء التبسط ملتهفا حائرا أو ندله على الرسالة الخاصة بترجمته لتلميذه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحيم بن قاضي باكثير.

- مؤلفاته : في تاريخ ابن حميد أن له مؤلفات مبسوطة و مختصرة و الذي أدريه منها صفوة العقيدة الأشعرية شرح الأبيات اليافعية، و رسالة في مناقب شيخه العلامة السيد جعفر بن أحمد بن زين الحبشي. اهـ

قلت : و هذا الشرح من أواخر مؤلفاته رحمه الله ولم يكمله، وإنما أكمله نجله العلامة السيد علوي بن سقاف، و ورثه أحفاده من بعده، و خاصة من كان بجاوة منهم، كالعلامة السيد عيدروس بن سالم بن علوي بن سقاف الجفري صاحب «فالو»، والنسخة ربما بجاوة آنذاك، فلذا لم نجد ذكره في «العقد» للعلامة ابن سميط، أو في«العدة» لابن حميد.

وبالمناسبة، وجدت في سفينة العلامة السيد علي بن أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس أبياتا لذي النون المصري نقلها من هذا الشرح حيث قال هناك في ص(٨٩-٩٠) : «اهـ من شرح الفصول للحبيب سقاف بن محمد بن عيدروس بن سالم بن عيدروس الجفري لطف الله بالجميع، آمين» وهذا يؤكد ما سبقنا بيانه. والله أعلم.

مطلب : في الصحيفة السجادية
و سند السادة آل باعلوي إليها.

للسادة آل أبي علوي اهتمام بالصحيفة السجادية ، وتقرأ أدعية منها في عديد من مناسباتهم ، ومن ذلك دعاء يوم عرفة التي تقرأ في تريم ، أما جهل العوام كون أصل ذلك الدعاء من الصحيفة نفسها فلا يؤثر في حقيقة الأمر شيئاً ، وفي مجموع كلام السيد أحمد بن حسن العطاس : (وسئل رضي الله عنه عن ما ذكره سيدنا زين العابدين في دعاء عرفة من الصحيفة الكاملة في قوله: اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته لعبادك ...) .

كما أنَّ دعاء ختم القرآن المنتشر بين العلويين مأخوذ أيضاً من الصحيفة السجادية وإنْ وقع فيه بعضُ تصرفٍ بسبب طول العهد وعدم رجوعهم إلى الأصل ، مما تسبب في اضطرب السيد عبد الله بلفقيه في شرحه له فلم يدرِ أدعاء ختم القرآن لزين العابدين عليه السلام أم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أم لغيرهما وإن رجّح الأول ، وقد ذكر السيد أحمد بن حسن العطاس أنَّ دعاء الختم هي من تلك الصحيفة ، فقال : (وفي صحيفة الدعاء المنسوبة لسيدنا علي زين

العابدين رضي الله عنه : وخرجت من منازلها لا حاجة لها إلا الطمع والرغبة فيما لديك) اهـ تنوير الأغلاس (**١/١٦٣**) .

أما الزعم بأنَّ العلويين ليس لهم سنداً متصلا سماعاً فلغو ، قال السيد أحمد بن حسن العطاس : (إني سمعتُ الصحيفة العلوية المنسوبة لسيدنا علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين ابن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام بقراءتك لها على جدك أحمد بن محمد المحضار – يخاطب السيد عبد الله بن هادون – في مجلس واحد ، وهو يرويها عن أبيه عن طريق العلويين) انتهى ، نقل هذا السيد علوي بن طاهر الحداد في رحلة شيخه العطاس إلى دوعن التي سماها الرحلة الدوعنية ، وقد نقلها السيد علي نجل السيد أحمد في ترجمته لأبيه (ص**١٥٦**) .

فلا يمكن القول بأن السند المذكور في (مرآة النظر) لبامعبد عن السيد العطاس عن شيخه المحضار إلى آخره كان إجازة فحسب عارٍ عن السماع كما ادّعاهم بعضهم ، بل سمعه السيد العطاس كاملاً كما أخبر عن نفسه .

وسند السيد أحمد المحضار يتصل بالشيخ عبد الله ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران كما في (مرآة النظر) وهو يرويها بسنده إلى الإمام السجاد .

أما رواية الشيخ عبد الله ابن الشيخ علي بن أبي بكر السكران فليس منقطعاً كما زُعم ، فقد ذكر سند الشيخ عبد الله بتمامه ناصر العترة العلامة محمد بن عقيل ابن يحيى ، والذي أفاده بذلك هو العلامة علوي بن طاهر الحداد في مكاتبة إليه نثبتها هنا للفائدة :

قال السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي : «مما أفادني به الأخ علوي بن طاهر الهدار الحداد و مع كتاب منه وصلني في ربيع الأول سنة **١٣٤١**هـ إلى المكلا (وجد بخط الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير ما نصه : الحمد لله رب العالمين فائدة منقولة من خط السيد الشريف الفقيه علي بن عبد الرحمن خرد نفع الله به يقول العبد الشريف عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر علوي أروي دعاء ختم القرآن للإمام زين العابدين علي ابن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رواية الفقيه الأديب عبد الله ابن حسين بن حجاج القلهاتي[١] وهو يرويه عن أبيه الفقيه حسين القلهاتي وهو يرويه عن شيخه سليمان بن أحمد مفرح العراقي عن الشيخ أحمد بن متوج الهجري عن شيخه سعيد بن جمال الدين

---

[١] روى عنه بامخرمة في قلادة النحر (**٥٦٧\٦**)

الكازروني[1] العراقي عن الشيخ محمد بن ماجد الهاشمي عن شيخه سعيد بن سليمان البغوي قال حدثنا سليمان الواسطي قال حدثنا منصور بن عمار اليماني قال حدثنا أبو حمزة المروزي قال أخبرنا أبو الفضل[2] محمد بن عبد الله المطلب الشيباني قال حدثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن الحسين[3] قال حدثنا عمر[4] بن الخطاب الزيات سنة **٢٥٥** هـ قال حدثنا خالد بن نعمان الأعلم[5] قال حدثنا عمير بن المتوكل الثقفي البلخي عن أبيه المتوكل بن هارون قال أملأ علي الإمام جعفر الصادق قال أملأ علي جدي الإمام زين العابدين أدعية الصحيفة له وهي نيفا و خمسين بابا و فيها ختم القرآن الذي أوله اللهم إنك أحضرتنا ختم كتابك الذي عظمت حرمته إلى آخره اهـ نقلت ذالك حرفا بحرف من خط السيد الفقيه أبي بكر بن محمد بن شهاب الدين)

---

[1] ترجم له السخاوي في الضوء اللامع (**٢١\١٠**) : «مُحَمَّد بن مُحَمَّد **الْمَدْعُو سعيد** بن مَسْعُود بن مُحَمَّد بن مَسْعُود بن مُحَمَّد بن عَليّ بن أَحْمد بن عمر بن إِسْمَعِيل بن الْأُسْتَاذ أبي عَليّ الدقاق»

[2] لعله أبو المفضل كما في الأسانيد المشهورة للصحيفة، والله أعلم (خ)

[3] لعله الحسن كما في الأسانيد المشهورة للصحيفة، والله أعلم (خ)

[4] في الأسانيد المشهورة للصحيفة الراوي هو ابنه عبد الله بن عمر بن الخطاب الزيات سنة **٢٦٥**هـ. (خ)

[5] «خالي علي ابن النعمان الأعلم» كما في الأسانيد المشهورة للصحيفة، والله أعلم (خ).

انتهى قلت : أدعية الصحيفة تشملها الإجازة العامة المسلسلة أبا عن جد و الله أعلم» .اهـ من العلامة ابن عقيل بن يحيى العلوي.

قلت : و للعلويين و السيد محمد مرتضى الزبيدي إسنادٌ آخر للصحيفة عن سيدنا موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه الإمام السجاد رضي الله عنهم، كما في شرح الإحياء (**٤\٣٧٨**).

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِله الْمُتَفَضِّلِ الْمَنَّانِ، الْقَدِيْمِ الْإِحْسَانِ، بَاسِطِ مَوَائِدِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، سَامِعِ دُعَاءِ الدَّاعِيْنَ فِيْ سَائِرِ الْأَحْيَانِ وَالْأَزْمَانِ، لَاسِيَّمَا فِيْ مَوَاطِنِ الْإِجَابَةِ كَالدُّعَاءِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِيْ خَتَمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَخَتَمَ بِدِيْنِهِ جَمِيْعَ الْأَدْيَانِ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِيْنَ هُمْ نُجُوْمُ الْهِدَايَةِ الَّتِيْ بِهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ الْأَمَانُ، وَعَلٰى أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَبَعْدُ : فَقَدْ طَلَبَ مِنِّيْ مَنْ عَزَّتْ عَلَيَّ مُخَالَفَتُهْ، وَوَجَبَتْ عَلَيَّ إِجَابَتُهُ، أَنْ أُعَلِّقَ شَرْحًا عَلَى الدُّعَاءِ الْمَنْسُوْبِ لِسَيِّدِنَا زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما بَعْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ، فَاعْتَذَرْتُ بِكَلَالِ الْفِكْرِ وَقُصُوْرِ النَّظْرِ، لَا سِيَّمَا مَعَ كَثْرَةِ الْإِشْغَالِ وَتَكَدُّرِ الْبَالِ فِي الزَّمَانِ الَّذِيْ تَرَاكَمَتْ فِيْهِ الْأَهْوَالُ وَتَكَدَّرَتْ فِيْهِ الْأَحْوَالُ، فَلَمْ يَزَلْ يَلِحُّ عَلَيَّ فِيْ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَخَرْتُ اللهَ مؤملا حصوله على يَدَيَّ رَاجِيًا إِتْمَامَهُ عَلى وَجْهٍ جَلِي مما ظهر لي من معانيه مما فهمته أو نقلتُه عن الكتب المعتمدة، تاركا للعَزْوِ غالبا، إختصارا غير مُتَعَرِّضٍ لِشَيْئٍ من علوم العربية وغيرها إلّا أشياء من عقيدة الأشاعرة مسّت الحاجةُ إليها، أو أشياء مِنْ ضَبْطِ الْأَلْفَاظِ لِكَثْرَةِ تَدَاوُلِهَا إِحَالَةً فِيْ جَمِيْعِ مَا ذُكِرَ لِمُرِيْدِهَا عَلٰى مَحَالِهَا.

وَلنُقَدِّم عَلٰى ذٰلِكَ الْكَلَامَ عَلٰى شُهْرَةِ نِسْبَةِ – هٰذَا الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَذْكُوْرِ، وَذِكْرِ الْإِخْتِلاَف فِيْهِ فنقول : وجدت فى سابق الزمان كتابا مشتملا[1] على أدعية كثيرة، نسبَها جامعُها لسيدنا زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول دعاؤه في كذا، دعاؤه بعد الصلاة، دعاؤه بعد ختم القرآن، وذِكرُ هذا الدعاء لم يختلف الّا فى ألفاظ قليلة، وكذلك مشهورٌ عند مَن أدركنا من مشائخنا وغيرهم نسبتُه اليه وفي شرحه للشيخ عبدالله با شعيب ما لفظه : «و قد رأيت نسبة هذا الدعاء تارة إلى الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ و تارة إلى ابن ابنه الإمام علي زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتارة إلى علي بن حمزة، وأخبرني من أثق بقوله عن شيخنا جدي أحمد بن حسن بن أبي شعيب رحمه الله نسبته للشيخ عبد الله بن محمد باعبّاد القديم، وهو بعيد جدا لوجود أسانيد فيه قديمة جدًا لكن سمعت بعض الناس يقول إنّ الذي للشيخ عبد الله بن محمد أبي عباد إنما هو مقدمة لدعاء الفصول توجد في بعض النسخ قبل قوله «صدق الله العظيم» اهـ.

أقُول وهذا خَبط وتخليط، فإن المقدمة التي للشيخ عبد الله القديم هو دعاء مستقل يُؤتَى به في بعضِ بلدان حضرموت أوّله «اللهمَّ انفعنَا بالقرآن، وعَمّنا

---

[1] الكتاب المذكور هو الصحيفة المنسوبة إلى سيدنا الإمام علي زين العابدين و هي بحمد الله عندنا و نسبتها إلى سيدنا الإمام زين العابدين صحيحة محققة وسندها موجود عندنا اهـ كتبه ١١٦ الحداد.

بالغفرَان» وآخره «اللّهم وما أنزلتَ بسبب ثواب قراءتنا» إلى آخره وهو أشهر من أن يَشتبه بهذا الدعاء، وأما المقدمة التي قبل قوله «صدق الله العظيم» المشهورة عندنا فأوّلها «الحمد لله رب العالمين حمداً يُوافي نِعَمَه ويكافئ مزيده..» فهذه إلى قوله «اللهم اجعلنا من الذين حفظوا للقرآن العظيم» لم يُعرفْ مَنْ تُنسَبُ إليه، وهو دعاءٌ عجيبٌ يدلُّ مِن جامعِهِ على غايةِ المعرِفَةِ باستخراج خبايا الدعاءِ لإفتتاحِهِ بمجامعِ المحامدِ والثناءِ وتعقيبه بقوله «اللهمَّ اجعلنا من عبادِك الصالحين» إلى آخره، وأما قوله «اللهمَّ اجعلنا من الَّذين حفظوا للقرانِ العظيمِ» فهو منسوب لإبن الجوزي الخطيب الواعظ وهو مظنّته، ومثلُ ذلك يكون من مثلِ هذا، ثم قال با شعيب المذكور : «وقد دعا شيخي عمي حكم رحمه الله بمكة المشرفة بمَجمعِ ختم بقطعةٍ منه، وفي الجمعِ شيخنا مفتي الشافعية وإمامهم زين العابدين الطبري الحسيني فسأله لمن هذا الدعاء؟ فقال لعلي ابن الحسين رضي الله عنه فأعجبه، وقال : أنعم بالدعاء وأنعم بالدّاعي أو كما قال، ولو كان الدعاء لسيدنا علي رضي الله عنه أو لإبن ابنه لم يخفَ عليه و ناهيك به» ثم قال «ونسبتُه إلى علي بن حمزة رأيتُه بخطِّ بن حسين بن أبي شعيب» اهـ

أقول وجدتُ بخطِّ الشيخ علي بن عمر بن محمد بن قاضي «نعم مما أفادنيه سيدنا الحامد بن عمر أنه يحكى أنَّ دعاء الفصول للشيخ الإمام الصوفي محمد ابن

علي الترمذي[1] في قصة ملخصها أنه صنفه وغيره، ثم اختلج في صدره أن فيها شوب حظ أو رياء فرماها في البحر، و قال : «إن تكن لله خالصة سيظهرها وإلا فلا حاجة لها» ، فقدر الله أن ألتقمها حوت ثم رماها بالساحل، فانتفع بها الناس، قال : يقال إن هذا الدعاء من جملتها» اهـ

أقول : يمكن نسبته إلى الترمذي في تصنيفه المذكور وقد كان مسندا إلى زين العابدين المذكور لما كثر من انتسابه إليه، وأن مثله يكون من مثل ذلك الإمام، والعلم عند الله. والحاصل أن سلفنا معوَّلهم عليه، وميلهم إليه وكفى بهم أسوة و قدوة، والمشهور عندنا الإتيان به بعد تقدم المقدمة المصدرة بأجمع صيغ المحامد والثناء، ثم بدعاء ابن الجوزي المذكور فنأتي به سردًا، و نتكلم على ما نسب لزين العابدين رضي الله عنه وهو من قوله «صدق الله العظيم» إلى آخره و نسرد ما يعتاد سلفنا الإتيان به مكتفِّين بالكلام على ما يأتي إذ هو كالمستفاد منه أو المنطوي تحته، ونقدم على ذلك فصلين، الفصل الأول فيما يتعلق بالختم و آدابه و الفصل الثاني فيما يتعلق بالدعاء و آدابه و شروطه.

---

[1] أي الإمام الحكيم الترمذي صاحب «نوادر الأصول» وليس أبو عيسى الترمذي صاحب السنن كما هو ظاهر و معلوم.

الفصل الأول

فيما يتعلق بالختم وآدابه

اعلم أنه يستحب الحضور للختم القرآن للقارئ وغيره، أخرج أبو الشيخ ابن حبان والديلمي «من شهد فتح القرآن فكأنما شهد فتحا من فتوح المسلمين، ومن شهد ختمه فكأنما شهد الغنائم حين تقسم»[١]. «وكان ابن عباس يجعل رجلا يراقب رجلا فإذا أراد أن يختمَ أعلم ابن عباس فيحضر ختمه» رواه الدارمي وأبوداود بإسناديهما عن ابن عباس «وكان أنس بن مالك اذا ختم جمع أهله ودعا» رواه أبو داود باسنادين صحيحين عن قتادة عن أنس.

وروى أبو داود أيضا بأسانيده الصحيحة عن الحكم ابن عُتَيْبَة تصغير عُتبة التابعي الجليل أنه قال «أرسل إليَّ مجاهد وعبدة بن أبي لبابه، فقال : إنا أرسلنا إليك

[١] كنز العمال (**٢٤٣١،٢٤٣٠**) و مسند الدارمي (**٣٥١٤**) عن أبي قلابة مرسلا و فيه صالح بن بشر المري ضعفوه.

لأنا أردنا أن نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن»، وفي بعض روايته الصحيحة «أنه كان يقال إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن» وروى بإسناده الصحيح عن مجاهد قال : «كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، يقولون إن الرحمة تنزل عند ختم القرآن».[١]

وعن عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ «إذا ختم العبد القرآن صلى عليه سبعون ألف ملك»[٢]. و روى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال «من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك»[٣] وروى سفيان الثوري عن حبيب ابن عمرة أنه قال «إذا ختم الرجل القرآن قَبَّلَ الملك بين عينيه»[٤]

---

[١] التبيان للإمام النووي ص**١٥٩**-**١٦٠**.

[٢] الجامع الصغير (**٥٧٠**) قال الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري في المغير ص**٨٠** : «قلت : هذا من الأحاديث التي حكم المؤلف بوضعها في ذيل الموضوعات، وفي سنده واضعان شهيران ابن سمعان و أبو سعيد العدوي» اهـ

[٣] مسند الدارمي(**٣٣٤٥**) عن حميد الأعرج قوله.

[٤] حدث به الإمام أحمد بن حنبل فاستحسنه وقال: «هذا من مخبآت سفيان وقد روى ذلك عن سفيان قوله.» اهـ التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ج**١** ص**٨٨**.

وفي الحديث الصحيح عن أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

وروي عن إسحاق بن محمد التمَّار، قال «سمعتُ ابنَ خبيق يقول : قال يوسف بن أسباط وسأله رجل يا أبا محمد ما تقول اذا ختمتَ القرآن؟ قال : أقول خمسين مرة «اللهم لا تفتني»، قال وربَّما كان ابني خارجا فأنظره حتى يجيء لعلَّ الله أن ينزلَ علينا الرحمة» وقال أنس رضي الله عنه «مع كلِّ ختمة دعوةٌ مستجابةٌ، وعند ختم القرآن دعوة مستجابة وشجرة في الجنة»[2].

ويستحب أن يكون الختم أول الليل أو أول النهار، فعن طلحة بن مصرف التابعي الجليل قال «من ختم القرآن أيَّة ساعة كانت من النهار صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يصبح» وعن مجاهد نحوه.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه (**٢٦٩٩**)

[2] رواه البيهقي في شعبه **٣\٤٣٤** وغيره مرفوعا. وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ١\١٠٨.

وروى الدارمي في مسنده عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال «إذا ختم القرآن في أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، فإذا وافق ختمه النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي». قال الدارمي حديث حسن[1].

وعن إبراهيم التيمي رحمه الله قال «كانوا يقولون إذا ختم الرجل القرآن بالنهار صلَّت عليه الملائكة بقية يومه، وإذا ختمه ليلا صلت عليه بقية ليلته».

ويستحب أيضا عمل الحالُّ المُرْتَحِلُ، وهو أن يفتتح القرآن حال ختمه للقرآن، فإذا كبَّر في آخر «الناس» قرأ في سورة «الفاتحة» وأول «البقرة» إلى «المفلحون»، والأحاديث في هذا وفضله كثيرة شهيرة. والتكبير من «الضحى» إلى آخر «الناس» سنة مشهورة. وهَلْ هو من أوَّل «الضحى» لأن النبي صلى الله عليه وسلم كبَّر عند ختم قراءة جبريل، أو من آخره لأنها آخر قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قولان وهل هو للأوائل أو للأواخر؟ خلاف. وصيغة التكبير «الله أكبر» وقيل «لآ إله إلا الله والله أكبر»، وقيل إلى «مطلع الفجر» «الله أكبر» وإلى آخر سورة «قريش» «لآ إله إلا الله

[1] الأذكار للإمام النووي ص١٠٣ قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : قال ابن علاّن في شرح الأذكار: نازعه الحافظ في تحسينه، بأنه في سنده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف الحفظ، ومحمد بن حميد مختلف فيه، قال: وكأنه حسّنه لشواهده السابقة وغيرها، أو لم يرد الحسن بالإصطلاح.

والله أكبر» ومن الماعون «الله أكبر ولآ إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد» إلى آخر «الناس»، وعادة أسلافنا التكبير فقط، وعادتهم أيضا القطعُ على السُّورةِ وعلى التكبير ثم الإبتداء بالبسملة وإن كان للقراءة أوجه كثيرة في ذلك، وبعضهم لم يستحسن الوصل في أربع سور، وهي آخر «زلزلت» و«القارعة» و«الفلق» و«الكوثر».

وعادتهم أيضا تكرير سورة «الإخلاص» ثلاثًا بعد مرة الختمة، وقد شنَّع الشارح في سلم الوصول[1] على ذلك، وجعله من البدع المنكرات التي يتعيَّن الزجر عنها بما لا ينبغي ذكره، وقد وضع على الهامش عليه الشيخ علي بن عمر ما لفظه : (« إذا علمتَ كلام المصنف فاعلم أن عمل السلف المستمر حجة وأيُّ حجة، ومعلوم إستمرارهم على تكريرها كما ذكر من غير نكير فيما أظن، بل في الإتقان ما يدل على ذلك، وهذه عبارته للجلال السيوطي نفع الله به وهي «مسئلة عن الإمام أحمد أنه منع من تكرير قراءة سورة الإخلاص ثلاثا عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه، قال بعضم : والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآءن فتحصل بذلك ختمة، فإن قيل : فكان ينبغي أن تقرأ أربعا لتحصل له ختمتان، قلنا : المقصود أن

---

[1] يشير إلى كتاب سلم الوصول شرح دعاء الفصول للسيد عبد الله بن أبي بكر بن أحمد بن شعيب.

يكون على يقين من حصول ختمة إما التي قرأها، وإما التي حصل ثوابها بتكرير سورة الإخلاص إنتهى قلتُ (السيوطي) وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل في القراءة من خلل، ولما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان، فينبغي أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتباع رمضان بست من شوال» إنتهت عبارة الجلال السيوطى رضي الله عنه[1].

وبذلك يعلم أن ما ذكره الشارح جريٌ بلا عنان، وذلك عجيب منه مع غاية تحقيقه وإتقانه، ولكن الإنسان محل النسيان، وإلا فإفراطه في تشييد ما بناه من رد وتزييف عمل السلف المستمر طول الأعصار ووسع الأمصار، من غير نكير منكِر، واعتراض معتبَر هفوةٌ وتهافت، وكأنه لم يطَّلع على ما حقَّقه الجلال السيوطي كما نقلناه فاضطرَّه الأمر إلى ذلك رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين») اهـ كلام الأخ الشيخ علي المذكور وهو يدلُّ على أنه مقتفِ آثارِ أسلافِنا الماضين، وإن صدر منه أمر قريب فهو شأن البشر.

شعرا :

فمَن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرءُ نبُلا أن تُعد معايبُه

---

[1] الإتقان للسيوطي ج١ ص٣٨٥ .

ومن مستحسنات أسلافنا فى بعض البلد أن بعد «المفلحون» زيادة «آية الكرسي» «وإلهكم إله واحد لآ إله إلا هو الرحمن الرحيم»، وخواتم سورة «البقرة»، وفي بعضها الإقتصار عليها، وزيادة ختم كل قراءة وهي معروفة مشهورة، و لعلَّ ذلك كله لا يخرج عن السنة بالإصالة أو التبعية.

الفصل الثاني

في شروط الدعاء وآدابه وفضائله والحث عليه

أما فضائله، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾، وقال رسول الله ﷺ «الدعاء سلاح المؤمن» [١] ، وقال ﷺ « الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل » [٢]، وقال ﷺ « لا يرد القضاء إلا

[١] رواه أبو يعلى من حديث علي مرفوعا، وقال النجم : رواه أبو يعلى والحاكم عن علي رضي الله عنه لكن فيه كما قال الهيثمي محمد بن أبي حميد ضعيف، وقال ابن الغرس قال شيخنا صحيح، ولعله أراد باعتبار انجباره فتدبر اهـ كشف الخفاء للعجلوني ١\٤٦٢.

[٢] رواه أحمد (٢٢٠٤٤) ، و الترمذي (٣٥٤٨) عن ابن عمر مرفوعا وقال الترمذي : حديث غريب، ورواه الحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر وتمام الحديث «فعليكم عباد الله بالدعاء»

الدعاء»[1] وقال ﷺ « الدعاء من القضاء يرد القضاء بالقضاء »[2].

وأما شروطه :

فأوَّلها أكل الحلال، وهو وإن فسد الزمان بيِّن، كما قال الصادق المصدوق ﷺ وقد ورد «الدعاء مفتاح وأسنانه لقم الحلال»[3] وفي حديث «رُبَّ أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يارب يارب »[4] الخ دليل على أن ذلك أولى الشروط.

ومنها حضور القلب وتدبر المعنى وتفهُّمه لاسيما في غير النبوي، أما هو فينبغي أن يكون كالقرآن المتعبَّد بلفظه، ومنها الإيقان بالإجابة لقوله ﷺ « أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل»[5]

---

[1] رواه الترمذي (٢١٣٩) عن سلمان بإسناد حسن و تمام الحديث «ولا يزيد في العمر إلا البر»

[2] رووا نحوه جماعة.

[3] من قول يحيى بن معاذ كما في الإحياء للغزالي (٢\٩١)

[4] رواه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة.

[5] رواه الترمذي (٣٤٧٩) وأحمد (٦٦٥٥) بإسناد حسن.

ومنها حسن الظن بالله وبالدعاء الذي دعابه، قال الله تعالى : ﴿ أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ﴾.[1] وقد حكى بعضُ شيوخِنَا أن بعضَ الأولياءِ مرَّ على رجل قطعت يده فألصقها ذلك الولي فعادت كأن لم يكن بها بأس، فقال له ذلك الرجل الذي قطعت يده، ماذا قلتَ؟ فامتنع من الإجابة فأقسم عليه، فقال قلتُ «بسم الله»، فوقعتْ يدُه، نعوذ بالله من سوء الظن المُرْدِي.

ومنها أن يعظِّم الرغبة قال ﷺ «سلوا الله الفردوس فإن الله لا يتعاظمُه شيءٌ »[2].

ومنها الإلحاح في الدعاء قال ﷺ «إن الله يحب الملحين في الدعاء»[1].

---

[1] أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣) عن واثلة الأصقع وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : «في الصحيحين دون قوله «فليظن بي ما شاء»

[2] قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله - لا يتعاظمه شيء أعطاه» وللبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبادة بن الصامت اهـ تخريج أحاديث الإحياء(٥/ ٢٢١١).

ومنها أن لا يستبطئ الإجابة، في الحديث «يستجاب لأحدكم مالم يعجل، يقول دعوت فلمْ يستجبْ لي »[2].

وروى أحمد والحاكم في صحيحه « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن يعجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نُكْثِرُ قال : الله أكثر »[3].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أن النبي ﷺ قال «من لم يسأل الله يغضبْ عليه»[4]

ثم أنشد

الله يغضب إن تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

---

[1] رواه القضاعي (٦٧٢) عن عائشة مرفوعا. قال السيد أحمد الغماري «و رجاله ثقات لولا عنهنة بقية»

[2] متفق عليه.

[3] مسند أحمد (١١١٣٣) عن أبي سعيد الخدري، قال الشيخ شعيب : إسناده جيد.

[4] رواه أحمد (٩٧٠١)، و الترمذي (٣٣٧٣)، و ابن ماجه (٣٨٢٧).

ومنها أن لا يكون بغير الممكن عادةً أو عقلاً أو شرعاً، وأن لا يلحَن في دعائه، وأن لا يتكلَّف السَّجع، وأن لا يكون فيه غرض كطول العمر وكثرة المال لأجل التفاخر، وأن لا يشتغل به عن فرض، وأن يحسن الأدب مع الله تعالى في المخاطبات بترك فحش الكلام وكثرة الإدلال عليه.

ومنها أن يكون على طهارة فى مكان نظيف خال عن المشوِّشات، فيكره في محال النجاسة ومحال القذر واللعب، وفي محال المعصية كالسوق، ومع نعاس أو شِبع مفرط ومدافعة الأخبثين، ومنها بل من أهمها الدعاء مع الذلة والإنكسار والإضطرار والإفتقار.

ومن كلام سيدنا الحبيب حامد ما معناه نحن في زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء الغريق إشارة إلى ذلك، وكثيرا ما يستحسن قول سيدنا الحبيب عبد الله الحداد :

قَدْ كَفَانِيْ عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ

فَدُعَـائِي وَابْتِـهَالِي ... شَـاهِدٌ لِي بِـافْتِقَارِي

فَلِهَذَا السِّـرِّ أَدْعُو ... فِي يَسَارِي وَعَـسَارِي

أَنَا عَبْدٌ صَـارَ فَـخْرِي ... ضِمْنَ فَقْرِي وَاضْـطِرَارِي

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ

يَا إِلَـهِي وَمَلِيكِـي أَنْتَ تَعْلَم كَيْفَ حَـالِي

وَبِمَا قَدْ حَـلَّ قَلْبِي مِنْ هُمُـومٍ وَاشْتِغَالِي

فَتَدَارَكْنِي بِـلُطْفٍ مِنْكَ يَا مَـولَى الْمَوَالِي

يَا كَرِيْمَ الْوَجْهِ غِثْنِي قَبْلَ أَنْ يَفْنَى اصْطِبَارِي

قَدْ كَفَانِيْ عِلْمُ رَبِّي مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ

يَا سَرِيْعَ الْغَوْثِ غَوْثًا مِنْكَ يُدْرِكْنِي سَرِيـعًا

يُهْزِمُ الْعُسْرَوَيَـأْتِي بِـالَّذْي أَرْجُو جَمِيعًا

يَاقَرِيْبًا يَامُـجِيْبًا يَا عَلِيْمًـا يَا سَمِيْـعًا

قَدْ تَـحَقَّقْتُ بِعَجْزِي وَخُضُوْعِي وَانْكِسَارِي

قَدْ كَفَانِيْ عِلْمُ رَبِّي مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ

لَـمْ أَزَلْ بِـالْبَابِ وَاقِفْ فَـارْحَمَنْ رَبِّي وُقُـوْفِي

وَبِوَادِي الْفَضْلِ عَاكِفْ فَـأَدِمْ رَبِّي عُكُـوفِي

وَلِحُسْنِ الظَّـنِّ لاَزِمَ   فَهُوَخِلِّي وَحَلِيْفِـي
وَأَنِيْسِيْ وَجَلِيْـسِي   طُوْلَ لَيْـلِي وَنَـهَارِي
قَدْ كَفَانِيْ عِلْمُ رَبِّي   مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ
حَاجَة فِي النَّفْسِ يَارَبْ   فَاقْضِهَا يَاخَيْرَ قَـاضِي
وَأَرِحْ سِرِّي وَقـلْبِي   مِنْ لَـظَاهَا وَالشُّـوَاظِ
فِيْ سُرُورٍ وَحُبُوْرٍ   وَإِذَا مَـا كُنْتَ رَاضِي
فَالْهَنَا وَالْبَسْطُ حَـالِي   وَشِعَارِي وَدِثَـارِي
قَدْ كَفَانِيْ عِلْمُ رَبِّي   مِنْ سُؤَالِي وَاخْتِـيَارِ

وقد لقَّنني «اللّٰهم اهدني فيمن هديت» إلى آخره.

﴿ فائدة ﴾ اختلف الصوفية أيُّما أفضل الدعاء أو السكوت؟ واستدل الأولون بما مرَّ، والأخرون بقول إبراهيم «حسبي من سؤالي علمه بحالي»، والأرجح أنه يختلف باختلاف الأحوال والمقامات، والجامع بينهما القيام بوظيفة

الدعاء ليشهد له بالإفتقار، فلذا قال سيدنا الحداد فيما مضى «فدعائي وابتهالي شاهد لي بافتقاري».

﴿ فائدة أخرى ﴾ ذكر في سلم الأصول عن شيخه منصور الطوخي أن الدعاء تجري فيه الأحكام الخمسة، وصور الواجب بما إذا نذره، ثم قال «قلت وينبغي تصويره أيضا بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات في الخطبة، و للميت في صلاة الجنازة، وبالدعاء آخر التشهد على قول ضعيف، وبالدعاء للعاطس تشميتا على مذهب أبي حنيفة، وعرضتُ هذا على شيخنا المحقق محمد بن أبي بكر الشلي علوي وقال : ما صورة المباح؟ فقلتُ : لعلَّه الدنيوي، فقال : عند الزركشي، وأما عند غيره فالدعاء لا يخرج عن الإستحباب لأنه مناجاة وهي من أجلِّ القرب» إنتهى.

ومنها أن يبدأ بالحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ ، ويستحب التوسُّل بأسمائه العِظام و بالأنبياء والعلماء والصالحين و بأعماله الصالحات كما ورد في حديث أصحاب الغار الثلاثة، وإذا كان التوسل بعمل العبد مطلوبا فكيف بعامل عملا صالحا ليس لك فيه دخل كما في دعاء المؤمن لأخيه.

وفي الخبر أو الأثر «ادع الله بلسان لم تعصِ الله به»، وقد اشتبه على بعض متجاهلي أهل الزمان المتأخر التوسل بالأولياء والأنبياء حتى خبطوا خبطًا ضلَّت به عقولُهم، وأنكروا على أولياء الله كثيرا من ذلك، فينبغى أخذ الحذر من الإصغاء إلى

مقالاتهم، فقد عَمّت وطّمّت فتنتُها حتى كادوا يقعون في الإلحاد بكثرة الإباء والعِناد، اللهمَّ اهدنا فيمن هديت، نعوذ بالله من الشقاء والخذلان، اللهمَّ إنَّا بُرَآء مما بُهتوا به أولياءك العارفين، اللهمَّ لا تُؤاخذنا بما يقولون، واجعلنا خيرا مما يظنون، واغفر لهم فإنَّهم لا يعلمون.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْن * حَمْدًا يُوَافِيْ نِعَمَهُ وَيُكَافِىءُ مَزِيْدَه * يَا رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنبُغِيْ لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَعَظِيْمِ سُلْطَانِك * سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلٰى نَفْسِكَ *

ولما عزمت على سرد المقدمة المعروفة، رأيتُ أن أتكلم على بعض ما ينبغي الكلام عليه تتميما للفائدة فأولها **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ** أي بذاته أبتدئ مستعينا ومتبركا بذكر اسمه، والله علم على الذات، والرحمن من أسماء الصفات العآمة، ومعناه المنعم بالنعم العآمة الأصلية، والرحيم المنعم بالنعم الخآصة الفرعية، **الْحَمْدُ** كله مملوك ومستحق لله اسم الذات الأقدس تعالى الذي لم يسمَّ به غيرُه، **رَبِّ** مالك جميع **الْعَالَمِيْنَ** جمع لعالم اسم لما سوى الله، وغلب في جمعه العقلاء، **حَمْدًا** مصدر حمد بمعنى مدح وأثنى و شكر، **يُوَافِيْ** يلاقي **نِعَمَهُ** علينا التي لا تحصى عدا فكيف شكرا **وَيُكَافِىءُ** مهموز يساوي **مَزِيْدَه يَا رَبَّنَا** مالكنا وسيدنا بجميع معانيه، **لَكَ الْحَمْدُ** المدح والثناء على الجميل المطلق، **كَمَا يَنبُغِيْ** يصلح لك استحقاقا **لِجَلاَلِ** عظمة **وَجْهِكَ** ذاتك **وَعَظِيْمِ** عزيز ومنيع **سُلْطَانِك** قهرك وحجتك بأن يكون منك إذ ما حمدك في الحقيقة غيرك، **سُبْحَانَكَ** تنزيها لك عن مدحنا و ثنائنا **لَا نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ** لا نقوم بحقه بل **أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلٰى نَفْسِكَ** وهؤلاء الصيغ الثلاث أفضل صيغ المحامد والثنا، حتى قالوا في باب الأيمان لو حلف أن يثنيَ على الله أو يحمده بأجمع

فَلَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى * وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيْتَ * وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَى * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * اللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلٰى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ * يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالْجَمَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْمَوَاهِبِ الْعِظَامِ *

المحامد بر باحداها أو تتعين الوسطى للأبلغية، وورود نص صحيح فيها.**فَلَكَ الْحَمْدُ** جنسُه أو جميعُ أفرادِه أو المعهودُ الذي لا عبرةَ إلَّا به إستحقاقًا لجلالِكَ وعظمتِكَ وربوبيَّتكَ **حَتَّى تَرْضَى** تجعلُنا أهلاً لرضاك عنَّا بفضلك **وَلَكَ الْحَمْدُ** ثناءً وشكرًا ومدحًا وجوبًا واستزادةً، **إِذَا رَضِيْتَ** صِرنا أهلاً لرضَاك عنَّا بأن وفَّقتنَا للأعمال المرضيَّة كما يُرشد إليه قولُه : ﴿ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعمتَك الَّتِي أَنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أَعْملَ صالحًا ترضاه ﴾، **وَلَكَ الْحَمْدُ** كذلك **بَعْدَ الرِّضَى** تأهّلنا لذلك لتكاثر نِعَمِك علينا، **اللّٰهُمَّ** أصلُه «يا الله» حذفت ياء النداء وزيدت عليه الميم، فعن النضر بن شميل أن من قالها فقد سأل الله بجميع أسمائه، وتأتي عند الإستثناء نحو: اللهمَّ إلّا أن يكون كذا، وتمكينا للجواب نحو: «اللهم نعم» **صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلٰى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ يَا ذَا** صاحب **الْجَلاَلِ** العظمة **وَالْإِكْرَامِ** الإفضال والإنعام، ولا يستحق بالحقيقة من يوصف بالكرم غيره، **وَالْمَوَاهِبِ** العطايا **الْعِظَامِ** الجسام حسا و معنًى. أوحى سبحانه وتعالى إلى بعض الأنبياء «لو سقتُ إليك حبةً مسوسةً فاعلم إني قد ذكَّرتُك بها فاشكرني عليها»

وَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُوْلِ اللهِ أَجْمَعِيْنَ * وَارْضَ عَنَّا وَعَنْ وَالِدِيْنَا وَعَنْ أَمْوَاتِنَا وَعَنْ مَشَايِخِنَا وَعَنْ مُعَلِّمِيْنَا وَعَنْ وَالِدِيْهِمْ وَالْحَاضِرِيْنَ وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ * اللّٰهُمَّ افْعَلْ بِنَا وَبِهِمْ مِنَ الْجَمِيْلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ.. يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

وَرَضِيَ اللهُ خبر بمعنى الإنشاء أي «اللهمَّ ارضَ» **عَنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُوْلِ اللهِ أَجْمَعِيْنَ وَارْضَ عَنَّا وَعَنْ وَالِدِيْنَا** مَنْ يَستحقُّ الدعاء ممن ولدنا إلى آدم وحواء، **وَ مَشَايِخِنَا** جمع شيخ وهو فى اللغة من جاوز الخمسين ويقال شيَّختُ فلانا أي بجَّلته، والمراد هنا الشيخ الإصطلاحي وهو مَن أهَّله الله لمقام الدعوة إليه بتربية المريدين وتهذيب أخلاقهم والإشراف على بواطنهم، قال بعضهم : «الشيخ من هذَّبك بأخلاقِه وأدَّبك بإطراقِه، وكلامهم في ذلك معروف مشهور، **وَمُعَلِّمِيْنَا** القرآن وغيره من العلوم والأعمال والأداب **وَالْحَاضِرِيْنَ** للمجلس، **وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ** عمَّم بعد الخصوص بالدعاء لجميع المسلمين إذ هو مندوب، بل لا ينبغي تركه لما في قوله ﷺ « تحجَّرتَ واسعا» في الحديث المعروف، **اللّٰهُمَّ افْعَلْ بِنَا وَبِهِمْ مِنَ الْجَمِيْلِ** أفعاله سبحانه كلها جميلة، ومراده بالجميل هنا ما كان ملائما للطبع، محمود العاقبة، فهو بمعنى «اللهم إنا نسألك العافية وتمام النعمة ودوامها في الدنيا والآخرة **مَا أَنْتَ أَهْلُهُ.. يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.**

اللّٰهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا ي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِيْ الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا وَوَالِدِيْنَا وَمَشَايِخَنَا وَمُعَلِّمِيْنَا وَوَالِدِيْهِمْ وَالْحَاضِرِيْنَ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ * الْمُفْلِحِيْنَ الْمُنْجِحِيْنَ * الْفَائِزِيْنَ الْبَارِّيْنَ * النَّاعِمِيْنَ الْفَرِحِيْنَ * الْمَسْرُوْرِيْنَ الْمُسْتَبْشِرِيْنَ * الْمُطْمَئِنِّيْنَ الْآمِنِيْنَ *

ومن كلام سيدنا الحبيب الحامد نفع الله به في بعض مكاتباته في تفسير هذا الدعاء بهذه الآية ما لفظه **اللّٰهُمَّ رَبَّنَا** نحن عبيدك الضعفاء الفقراء المحتاجون، **آتِنَا** بمحض فضلك وكرمك **فِي الدُّنْيَا** التي هي المزرعة والطريق إلى الآخرة، **حَسَنَةً** تلائم الطبع، وتوافق الشرع، محمودة الأصل والفرع.

وَفِيْ الْآخِرَةِ حَسَنَةً رِضَاكَ عَنَّا، وَتَمَامُ فَضْلِكَ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْنَا فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: شَهَادَةَ التَّوْحِيدِ قَوْلًا وَعَمَلاً وَاعْتِقَادًا، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً: الْمَوْتَ، وَالْبَعْثَ عَلَى شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ وَكَمَالِ الْيَقِينِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ بِهَا، الْمُتَكَفِّلِ بِالْأَمَانِ مِنْ دُخُولِ النِّيرَانِ، الْمُسْتَوْجِبِ لِدُخُولِ الْجِنَانِ فِي جِوَارِ الرَّحْمَنِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: مَعْرِفَتَكَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً: رُؤْيَتَكَ فِي الْآخِرَةِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: عَافِيَتَكَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً: عَفْوَكَ فِي الْآخِرَةِ آمين إنتهى من تفريح القلوب.

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ بالعفو والمغفرة، فالحسنة في الدنيا والآخرة عافية الأديان وصحة الأبدان ومعرفة الله في الدنيا والآخرة ورؤيته في الأخرى.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا وَوَالِدِيْنَا وَمَشَايِخِنَا وَمُعَلِّمِيْنَا وَوَالِدِيْهِمْ وَالْحَاضِرِيْنَ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ لا حرج في الدعاء بأن يكون جميع المسلمين.

مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ القائمين بحقوق الله وحقوق الخلق.

الْمُفْلِحِيْنَ الفائزين الْمُنْجِحِيْنَ الحاصلين على مطالبهم **الْفَائِزِيْنَ** الفوز الظفر بالمقصود من غير سابقة عذاب ولا عتاب، **الْبَارِّيْنَ** العاملين بالبر والخارجين عن العقوق. **النَّاعِمِيْنَ** بسلوك طريق المحبة لا الخوف، **الْفَرِحِيْنَ** بفضل الله، **الْمَسْرُوْرِيْنَ** المبتهجين المستنيري الأسرة، **الْمُسْتَبْشِرِيْنَ** بوعد الله، **الْمُطْمَئِنِّيْنَ** إليه، **الْآمِنِيْنَ** بحسن ظنهم في الله، إذ هو عند ظن عبده فليظن به ماشاء.

الَّذِيْنَ لَا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْن لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي الْآيَةِ، لَا بَأْسَ بِأَنْ يَدْعُوَ بِذَلِكَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُقَالُ: لَا يَنْبَغِي الدُّعَاءُ بِذَلِكَ إِلَّا لِلْخَوَاصِّ، لِأَنَّا نَقُولُ: هُمْ وُرَثَةُ الْكِتَابِ، وَتَشْمَلُهُمْ آيَةُ الِاصْطِفَاءِ سَابِقِينَ وَمُقْتَصِدِينَ وَظَالِمِينَ، فلذا قال

بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنْ قال رسول الله ﷺ « إن الله خبأ ولايته في خلقه »[1]، وقال رسول الله ﷺ « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[2] وهذا آخر المقدمة.

---

[1] في الإحياء « قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثًا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئًا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئًا فلعل غضبه فيه **وخبأ ولايته في عباده...**» **٤\٤٩**، تأمل.

[2] رواه البخاري و مسلم و غيرهما.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِيْنَ حَفِظُوْا لِلْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ حُرْمَتَهُ لَمَّا حَفِظُوْهُ * وَعَظَّمُوْا مَنْزِلَتَهُ لَمَّاسَمِعُوْهُ * وَتَأَدَّبُوْا بآدَابِهِ لَمَّا حَضَرُوْهُ *

و (أمَّا) الذي ينسب إلى ابن الجوزي[1] قوله **اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِيْنَ حَفِظُوْا لِلْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ** حُرْمَتَهُ بأن قاموا بحقِّه ولم يتعدَّوا حُدُودَه وأحلُّوا حلاَلَه وحرَّموا حَرَامَه ونزَّهُوه عن مُشابهة كلام المخلوقين، **لَمَّا حَفِظُوْهُ** بالقراءة عن ظهر قلب، أو نظرا في المصحف،

وَعَظَّمُوْا مَنْزِلَتَهُ قاموا بالأحكام الثابتة في وُجُودَاتِه الثلاثة لِمَا يأتي. وفَهِمُوا الفرقَ بيْنَ الحَادِثِ والقَدِيمِ **لَمَّاسَمِعُوْهُ**

وَتَأَدَّبُوْا بآدَابِهِ لَمَّا حَضَرُوْهُ الَّذِي من جملتها الطهارة والإستقبال وترك الخوض في غيره، والقراءة بالحضور والتدبر وغيرها مما هو مذكور في محله.

---

[1] ونحوه «في الغنية» بعنوان «دعاء الختم للشيخ عبد القادر الجيلاني»، فلو صحت نسبته فهو له لأنه أسبق، و ربما نسبوه لابن الجوزي لإيناسهم بـ«خطبة قاف» في وداع رمضان، والله أعلم.

وَاَحْسَنُوْا جِوَارَهُ لَمَّا جَاوَرُوْهُ * والْتَزَمُوْا حُكْمَهُ وَمَا فَارَقُوْهُ * وَأَرَادُوْا بِتِلاَوَتِهِ وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ وَالدَّارَ الْآخِرَة * فَقَبِلْتَ مِنْهُمْ وَأَوْرَثْتَهُمُ الدَّارَ الْآخِرَة * اللّٰهُمَّ انْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ الَّذِيْ رَفَعْتَ مَكَانَهُ

وَاَحْسَنُوْا جِوَارَهُ لَمَّا جَاوَرُوْه بأن تعلَّموه، تشبيها له بالجار الذي تجب له الحقوق بمجرد المجاورة لا للقرابة ولا للفضل.

والْتَزَمُوْا حُكْمَهُ قَبِلُوه **وَمَا فَارَقُوْهُ** بأن داموا على القيام به.

وَأَرَادُوْا بِتِلاَوَتِهِ وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ ذاتك لإستحقاقك ذلك منهم لا للجزاء الموعود المرَتَّب بوعدك الصادق لمن عَمِلَ صَالحًا من ذَكَرٍ أَو أُنثى.

وَالدَّارَ الْآخِرَة الجنة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي الجنة، لأنه لا يرغب عنها، إذ مَنَّ الله بها، وهي دار كرامته ونعمته، ورفق أنبيائه وأوليآئه، فهي الحسنى والنظر إلى وجهه الكريم الزيادة

اللّٰهُمَّ انْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ الَّذِيْ رَفَعْتَ مَكَانَهُ، كلام الله صفة له وهي غير مقترنة بزمان ولا مستقرة في مكان، قال صاحب البردة نظما :

أٰيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ * قَدِيْمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوْفِ بِالْقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا * عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

فالمراد بالمكان هنا اللازم له الحدوث في وجوداته الثلاثة الدالة على مدلولاته، وهي الحفظ في الصدور والكتابة في المصاحف والقراءة بالألسنة، فمن هنا حرمت قراءة الجنب، وحرم مس المصحف، وبيعه للكافر، إذ هو موجود حقيقة وجودا رابعا قائما بالذات الأقدس، ويحتمل أن تُؤَوَّل الرفعةُ والمكانُ بالإرتفاع المعنويِّ للنَّزاهةِ عن المشابهةِ للحوادثِ، ويصير معنى **رَفَعْتَ مَكَانَه** اتصفت الصفات بالرفعة المعنوية لقيامها بالذات القديمة، كما في قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾.

قال ابن رسلان :

كلامه كوصفه القديم ❋ لم يحدث المسموع للكليم

وَأَيَّدْتَ سُلْطَانَهُ

وَأَيَّدْتَ سُلْطَانَهُ حجته، وقهرت معانديه ومعارضيه، فيه ما مضى في الذي قبله فليتأمل! وما أحسن ما قال البوصيري :

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِيْنَ منْ شُبَهٍ	لَذِيْ شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمِ
مَا حُوْرِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ	أَعْدَى الْأَعَادِيْ إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ
رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوٰى مُعَارِضِهَا	رَدَّ الْغَيُوْرِ يَدَ الْجَانِيْ عَنِ الْحُرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِيْ مَدَدٍ	وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَامِ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ عَجَآئِبُهَا	وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيْهَا فَقُلْتُ لَهُ	لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللّٰهِ فَاعْتَصِمِ
إِنْ تَتْلُهَا خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظٰى	أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَىٰ مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوْهُ بِهِ	مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوْهُ كَالْحُمَمِ
وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيْزَانِ مَعْدَلَةً	فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ
لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُوْدٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا	تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ	وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

**وَجَعَلْتَ الْفَصِيْحَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِسَانَهُ * فَقُلْتَ يَاأَعَزَّ مِنْ قَائِلٍ سُبْحَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * اللّٰـهُمَّ وَأَوْجِبْ لَنَا بِهِ الشَّرَفَ وَالْمَزِيْد *

وَجَعَلْتَ الْفَصِيْحَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِسَانَهُ، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾. وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾. وفي الحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف، فُسِّرَتْ بسبع من لغات العرب»[1]، ولما كان النبي ﷺ عربيا ناسب أن يكون الكتاب الذي يقرؤه عربيا، ولو كان غير ذلك لقيل نبي عربي وكتاب عجمي، ولمناسبة لغته سارع إلى قراءته حتى نهي عن العجلة[2]، فلذا قال: **فَقُلْتَ يَاأَعَزَّ مِنْ قَائِلٍ** نصب أعزاء على النداء كـ«يا لطيفا بالعباد»، **سُبْحَانَهُ** تنزيهًا له، **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ** بقراءة جبريل، **فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**، ولا تخشَ من تفلُّته، **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**، حِفْظُه وتفهيمه. **اللّٰـهُمَّ وَأَوْجِبْ** بفضلك **لَنَا بِهِ الشَّرَفَ** الرفعة **وَالْمَزِيْد** من النعمة بكثرة التفهُّم لمعانيه والتوفيق للعمل بما فيه.

---

[1] مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

[2] كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

وَأَلْحِقْنَا بِكُلِّ بَرٍّ وَسَعِيْد * وَاسْتَعْمِلْنَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْد * إِنَّكَ أَنْتَ الْحَمِيْدُ الْمَجِيْد * اللّٰهُمَّ وَكَمَا جَعَلْتَنَا بِهِ مُصَدِّقِيْنَ * وَلِمَا فِيْهِ مُحَقِّقِيْنَ * فَاجْعَلْنَا يَارَبُّ يَا اللهُ بِتِلاَوَتِهِ مُنْتَفِعِيْنَ * وَإِلَى لَذِيْذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِيْنَ * ولِأَوَامِرِهِ خَاضِعِيْنَ * وَبِأَمْثَالِهِ مُعْتَبِرِيْنَ * وَعِنْدَ خَتْمِهِ مِنَ الْفَائِزِيْنَ * وَاغْفِرِ اللّٰهُمَّ لَنَا «ثَلاَثاً * وَلِوَالِدِيْنَا وَلِمَشَايِخِنَا وَلِمُعَلِّمِيْنَا وَوَالِدِيْهِمْ وَالْحَاضِرِيْنَ وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ.. آمِيْن آمِيْنْ * بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ *

وَأَلْحِقْنَا بِالصالحين العاملين به من **كُلِّ بَرٍّ وَسَعِيْد، وَاسْتَعْمِلْنَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْد**، المستوفي الشروط والأركان، المحظى بالقبول.

إِنَّكَ أَنْتَ الْحَمِيْدُ المحمود ذاتا وصفاتا وأفعالا، **الْمَجِيْد** العظيم والكريم،

اللّٰهُمَّ وَكَمَا جَعَلْتَنَا بِهِ مُصَدِّقِيْنَ منشرحي الصدر، موقنين بأنه من عندك، **وَلِمَا فِيْهِ مُحَقِّقِيْنَ**.

فَاجْعَلْنَا يَارَبُّ يَا اللهُ بِتِلاَوَتِهِ مُنْتَفِعِيْنَ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، و تدبر معانيه، **وَإِلَى لَذِيْذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِيْنَ،** كما مننت بذلك على من خصَّصته من أوليآئك، حتى قال : «كأني أسمعه من المتكلم» **ولِأَوَامِرِهِ خَاضِعِيْنَ** منقادين، **وَبِأَمْثَالِهِ مُعْتَبِرِيْنَ** ، لما في الأمثال من المعنى المضروب، لا كما قال الكافرون : ﴿ مَاذَا أَرَادَ

اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً ﴾، ولقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾، **وَعِنْدَ خَتْمِهِ** أي الفراغ من قراءتنا له، **مِنَ الْفَائِزِيْنَ** الناجين من غير سابقة عذاب ولا عتاب،

وَاغْفِرِ اللّٰهُمَّ لَنَا «ثَلاثاً» وَلِوَالِدِيْنَا وَلِمَشَايِخِنَا وَلِمُعَلِّمِيْنَا وَوَالِدِيْهِمْ وَالْحَاضِرِيْنَ وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ.. آمِيْن آمِيْنْ * بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ * عمَّمَ بالدعاء لسعة فضل الله، ولنهي عن تَحَجُّر الواسع، وكلُّ من اتصف بالرحمة غيرُه فهو على سبيل المجاز، وقد خص الله بعض عباده بالرحمة يخلقه وندب إلى ذلك، فقال : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[1] و «من لا يرحم لا يرحم»[2] .

---

[1] متفق عليه.

[2] متفق عليه

وهذا أوان الشروع في الكلام على الدعاء المذكور :

قوله : **صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ**، قال با شعيب نقلا عن الأهدل في شرح أبي حربة «هذه عبارة مستعملة على ألسنة السلف والخلف بعد ختم القرآن وبعد حكاية آية منه ونحوها، قال تعالى ﴿ قل صدق الله ﴾، وتصديقُ الله تعالى فرض، والعظيم من صفات الذات، ومعناه المستحق لصفات العظمة من الجلال والعلو والمجد ورفعة القدر، فهو سبحانه جليل القدر عظيم الوصف عزيز النعت»[1] إنتهى.

وروي عنه ﷺ في قصة الحسن والحسين «صدق الله، إنما أموالكم وأولادكم فتنة»[2] و في الإحياء وليقل عند فراغه من كل سورة «صدق الله و بلغ رسول الله» ، وفيه ترسيخ للإعتقاد الواجب، بأن القرآن وجميع كتب الله المنزلة حق وصدق، ولذالك أتى بالجملة الثانية التي هي قوله (وبلَّغ... الخ) انتهى.

وَصَدَقَ وَبَلَّغَ رَسُوْلُهُ النَّبِيِّ الْكَرِيْم، لوجوب اعتقاد تبليغ ما أُمر ﷺ بتبليغه، وكتم ما أمر بكتمه، والتخيير فيما خُيِّرَ فيه، والرسول من البشر : حر ذكر أوحي إليه بشرع

---

[1] «مطالب أهل القربة في شرح دعاء أبي حربة» ق١٥٧ (بالتصرف)

[2] رواه الترمذي (٣٧٧٤)، و أبو داود (١١٠٩)، والنسائي (١٤١٣) عن بريدة رضي الله عنه.

و أمر بتبليغه، والرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي ولا العكس، والرسالة أفضل من النبوة، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والمأمور بتبليغ شريعة غيره رسول، كيوشع بن نون. و نبينا محمد ﷺ رسول إلى كآفة الخلق حتى الملائكة والجمادات خلافا لجماعة كالفخر الرازي ومن تبعه، وأمَّا الثقلان الإنس والجن إتفاقا.

ورسالته ﷺ و بعثته بعد إكماله الأربعين، وأوُّلها الدعوة بالقول واللين والعفو والصفح، ثم بالسيف والقتال مدة ثلاث وعشرين سنة، وأول ما أنزل عليه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، وآخره ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ على خلاف في ذلك.

وجميع سيره وشمائله ومعجزاته وإرهاصاته مذكورة في المصنفات لذالك، ونزول القرآن عليه من الله إلى بيت العزة جملة واحدة، ثم نزل به جبريل عليه السلام مُفَرَّقًا في مدة النبوة لأسباب، فسبحان من ربط الأسباب بالمسبَّبَاتِ، وعلم كلَّ شيءٍ قبل وجوده، فنحن مقرُّون بصدق الرسول ومن أرسله.

وَنَحْنُ عَلٰى جميع **مَا قَالَ رَبُّنَا** مالكنا **وَسَيِّدُنَا وَخَالِقُنَا** موجدنا من العدم بإيجاد آدم من طين تراب ممزوج بماء مهين محرق بالنار، فقال سبحانه ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾، وحواء من ضلع من جانبه الأيسر، وذريتهما من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة من بين ذكر وأنثى، بأن يكون أربعين يوما نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فيكتب الرزق والأجل و العمل[١] وشقي أوسعيد.

وكان آدم يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فذكر البطن الأول للذي يليه وأنثاه للآخر، وبالعكس وهذه شريعته، ثم أولاده تناسلوا وتناكحوا على شرائع مختلفة إلى نوح، ثم هلك جميع الأدميين بدعوة نوح، ولم ينج إلا هو وأهله، إلا من سبق عليه القول وهو ولده كنعان أُغرق في قارورة من بوله، وهلك مع الهالكين، وصار النسل في أولاد نوح وهم ثلاثة : سام أبو العرب، وحام أبو السودان، و يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، فلم يبق من بني آدم إلا هؤلاء الثلاثة، إلا ماكان من أولاد قابيل بن آدم قَاتِلُ أخيه هابيل، فإن له ذرية يتوالدون في النار.

---

[١] في الأصل [الأمر] لعله تصحيف و الصواب ما أثبتناه كما في الحديث، والله أعلم .

فأنواع الخلق لبني آدم أربعة : من غير أب ولا أم كآدم، ومن أب بلا أم كحواء، ومن أم بلا أب كعيسى إذ حملت به أمه مريم، من نفخ الملك المتمثل لها بشرا سويا، فحملته ساعة من نهار، ثم ألقته غلاما زكيا، والرابع خَلق سائر الأدميين من أب وأم على ما تقدم، فسبحان القادر على ما يريد، الذي بَهرتْ بدائع حكمته وعجائب قدرته.

وَرَازِقُنَا الرزق عند أهل السنة ما ينفع ولو حراما، وإنما أخذه من غير حله، واسْتعجله قبل محله، فعليه إثم خلاف الأمر، والله سبحانه وتعالى المتكفل بالرزق، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ و قال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾، هذا على سبيل العموم، وعلى الخصوص نحو ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

والرزق يطلق على الحسي الذي به الإمداد والتغذ، وعلى المعنوي كإفاضة العلوم وتيسير الأعمال الصالحة، وقد أمرني سيدنا الحبيب الشيخ عمر ابن سقاف بقراءة «ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب» بعد كل صلاة عشرا.

وَبَاعِثُنَا محيينا بعد الموت، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾، والبعث بالنفخة الثانية، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾، وهو أن الله سبحانه وتعالى يأمر إسرافيل بالنفخة الثانية، وذلك بعد إماتة الخلق كلهم قبل القيامة بانقضاء آجالهم، وهي القيامة الخآصة الجامعة لجميع ما تجمعه القيامة العآمة كما هو مذكور في مظناته، وإهلاك من بقي بالصعقة الأولى وهي نفخ إسرافيل في الصور، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾، وهي القيامة العآمة، ويتقدمها تشقق الأرض وانفطارها، وتكوُّر الشمس وغير ذلك من الأهوال المذكورة في مظانها، فيموتون جميعا، فلا يبقى غيره سبحانه، فهناك يقول ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ فلم يجبه أحد، ثم يقول ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾، فعند ذلك يرسل الله تعالى مطرا يشبه المني تنبت به الأجساد لبقاء عجب الذَّنَب، الذي لا يبلى من كل أحد، إذ جميع الأجساد تبلى إلا أجساد الأنبياء والشهداء فيصيرون أجسادا كما كانت خالية الأرواح، فيؤمر إسرافيل بالنفخة الثانية في الصور فتخرج منه جميع الأرواح، ولكل روح ثقبة تخرج منها إلى جسد صاحبها.

فهنالك يُبعثون ثم يحشرون حفاة عراة غَرْلًا في طول آدم بلغته إلى الموقف، فيخلق الله أرضا جديدة للموقف، وتجتمع الخلائق كلها بسوق النار من ورائهم وتدنو الشمس منهم فيتزايد حر النار وحر الشمس حتى إن العرق لتجري به السفن، فمن الناس من يبلغ في العَرق إلى سبعين ذراعا، ومنهم دون ذلك، ومنهم من يلجمهم العرق، ولا ينجو من ذلك اليوم إلا من أظله الله بظله وهي قوالب الأعمال الصالحة المقبولة المرضية عند الله، اللهمَّ أظلَّنا تحت ظلِّ عرشك يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّك.

وَوَارِثُنَا قبل ذلك بما ذكر بالموت والإهلاك، فالموت تحفة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾، ثم يجمع الناس في صعيد واحد، ويتجلَّى الرب للحساب، ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾، تزاد أربعة على الأربعة الحاملين له قبل ذلك لعظم التجلي، ثم يسألون النجاة من هول الموقف ولو إلى النار، فيستشفعون بالأنبياء فيعتذرون

حتى يستشفعوا بنبينا محمد ﷺ فيشفعوا، فذالك المقام المحمود الذي وعده بقوله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[١]

وقد قال ﷺ : «سلوا الله لي الوسيلة فإن من يسأل الله لي الوسيلة حلت له أي وجبت له شفاعتي يوم القيامة »[٢] . وسن بعد إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة التآمة الخ.

---

[١] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا سئل عنها، قال: « هِيَ الشَّفاعَةُ» « فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمدا ﷺ على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر»اهـ من تفسير الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى

[٢] «فائدة» في هذا الحديث وهو حديث الشفاعة المتواتر، و حديث الضرير عن سيدنا عثمان بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، و حديث استسقاء سيدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسيدنا العباس عم النبي ﷺ المروي في الصحيح، ثبوت مشروعية التوسل و الإستغاثة بالنبي و بآله و بالصالحين على العموم في جميع الأحوال، و من أراد التوسع فعليه بـ«إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي» للسيد المحدث عبد الله ابن الصديق الغماري و بـ «الإغاثة بأدلة الإستغاثة» تلميذه السيد المحدث حسن بن علي السقاف (خ).

وَنَصِيْرُنَا ناصرنا على أعدائنا من الإنس والجان، والنفس والشيطان، و لينصرنَّ الله من ينصره باتباع أمره واجتناب نهيه والقيام بما يجب عليه من الأمر بالمعروف، ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، والنصرة الإعانة على فعل الخير، سواء كانت ملائمة للنفس أوغير ملائمة، ومن ذلك «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[1] ، فنصرته ظالما منعه عن الظلم، والنصر من الله تقوية جنود العقل على جنود الهوى، وجنوده على جنود النفس والشيطان.

ومن أدعية سيدنا الحبيب الحامد بن عمر المتأولة من القرآن، قوله : «اللَّهُمَّ أَيِّدْنِي بِنَصْرِكَ وَعِزِّكَ، وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ، وَاشْمَلْنِي بِلُطْفِكَ وَحِفْظِكَ، وَأَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَاهْدِنِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ». **وَمَنْ إِلَيْهِ مَصِيْرُنَا** مرجعنا في الدنيا في كل حال من الأحوال، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾، وفي الآخرة على ما تقدم من جميع ما ذكر ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾، ترجعُ الأمور كلها إليه، اللهم اجعلنا ممن صيرته من أوليائك ليصير إلى دار جزائك وولائك، ولا تجعلنا ممن يصير في حزب أعدائك.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه (**٢٤٤٣**) و أحمد (**١١٩٤٩**) و غيرهما.

وَوَلِيُّ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِيْنَ * وَلَهُ مِنَ الذَّاكِرِيْنَ *

وَوَلِيُّ النِّعْمَةِ جميع الإنعامات الظاهرة والباطنة الدنياوية والأخراوية، موليها ومسديها السابقة الفائضة **عَلَيْنَا** بمحض فضله وهي بالكسر كل ملائم تحمد عاقبته، وضدها بالفتح، ولذا ذكرت في معرِض الذم للكفار، فلا نعمة لله على كافر، وإنما ملاذه إستدراج، والنعمة واحدة النعم، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، فنعمه سبحانه لا تتناهى عدًّا فكيف شكرًا؟ وأول نعمة نعمة الإيجاد، ثم الإمداد، ثم نعمة الإسلام، فلينظر الإنسان ما خصه الله به من النعم وفضله على غيره، وليرض بما قسم له، قال ﷺ : «انظروا إلى من هو دونكم أي في الأموال ولا تنظروا إلى من هو فوقكم أي في الأعمال»[1]، ولْيُقيِّد نعم الله عليه بالشكر عليها، فهو لحفظ الموجود وجلب المفقود، وليحذَر من نفار النعم بعدم الشكر، فما شارد بمردود، وفي الحديث القدسي﴿ إذا سقت إليك حبة مسوسة فاعلم أني قد ذكرتك بها، فاشكرني عليها﴾[2]

---

[1] كذا في الأصل، و المروي في الصحاح بلفظ «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم الخ» رواه مسلم (**٢٩٦٣**) و الترمذي (**٢٥١٣**) وغيرهما. و أما قوله «أي...» لعله إدراج لا يقصد، والله أعلم.

[2]قوت القلوب **٢٩٨/٢** : « وأوحى الله سبحانه **إلى بعض أوليائه**... إذا أتاك **فولة** مسوسة».

مِنَ الشَّاهِدِيْنَ، خبر قوله «نحن» الذي هو مبتدأ في قوله «ونحن على ما قال» أخبر به من أمور الدنيا الماضية والآخرة الباقية من المشاهدين الموقنين المصدقين بذلك، ونرجو أن نكون من الشاهدين، الشهادة الخآصة والمشهود المخصوص بأهل الإختصاص، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

وَلَهُ مِنَ الذَاكِرِيْنَ بذكره لنا، فلولا ذكره لنا لَمَا ذكرناه، وبذكرنا نستجلب ذكرَه، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، وفي الحديث : «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»[1]، والكلام في الذكر وأنواعه وفضائله أكثر مِنْ أَنْ يُذْكَر، فلا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا، فعلى الإنسان المحافظة بما يتيسير من الأذكار لا سيما أذكار النوم والإنتباه وأذكار المساء والصباح، والأذكار بعد الصلوات، والأذكار في السفر وغير ذلك مما يتجدد بالحوادث، وما أحسب أجمع وأنفع من كتاب الأذكار للإمام النووي نفع الله به فعليك به.

---

[1] متفق عليه.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ * وَلاَ عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِيْنَ *

وَالْحَمْدُ كله مستحق **للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ** جمع عالم، فيقال عالم الإنس وعالم الجن وعالم البهائم وعالم الدواب، وإنما زيدت الياء والنون تغليبا لأولي العلم، والعالَم ما سِوى الله تعالى الشامل لهم ولغيرهم.

وَالْعَاقِبَةُ الجنة، أو الجميلة المحمودة، ويقال للولد عاقبة. **لِلْمُتَّقِيْنَ** الممتثلين أوامره المجتنبين نواهيه، الخائفين من عقابه، الراجين لثوابه، **وَلاَ عُدْوَانَ** اعتداء و مجاوزة الحد **إِلَّا عَلَى الظَّالِمِيْنَ**، المتجاوزين الحدود الواضعين للأمور في غير مواضعها، فيطلق الظلم[1] على النفس والغير، فظلم النفس بالمخالفة لأمر الله، والتعدي لحدود الله، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾، والظلم للغير بالتعدي عليه بأخذ الحقوق الظاهرة والباطنة، والوقوع في العِرض وغير ذلك مما لا يخفى، قال رسول الله ﷺ « مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِن سَبْعِ أَرَضِينَ » وقال ﷺ

---

[1] في الأصل [فيطلق على الظلم] بإثبات (على) و لعله تصحيف والصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

« الظلم ظلمات يوم القيامة»[1]، وطباع النفوس مجبولة على الظلم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

قال المتنبي :

الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ * ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

وقد يطلق الظلم على المنع عن النفس من الظلم من الغير بالرّدع والمنع، ومن ذلك قول زهير القائل فيه عمر رضي الله عنه أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ومَنْ، وَمَنْ، وَمَنْ فِي قَوْلِهِ :

وَ**مَنْ** لَمْ يَذُدْ **عَنْ** حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ * يُهَدَّمْ، وَ**مَنْ** لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمْ

فهذ ا ظلم محمود إذ هو نصرة، لقوله صلى الله عليه وسلم : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[2]، و فسّر نصرَ الظالم بكفِّه عن الظلم، أو بدفعه عنه، ذكره الشيخ ابن حجر في التحفة[3] ومن حيث أنه ردع عن الظلم، ولعل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أهل النار كل ضعيف

---

[1] متفق عليه

[2] سبق تخريجه ص **٤٠**.

[3] « وَفَسَّرَ نَصْرَ الظَّالِمِ بِكَفِّهِ عَنْ ظُلْمِهِ وَلَوْ بِدَفْعِهِ عَنْهُ» اهـ تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي **٩/ ١٨١** .

مستضعف»[1]، والمراد بالضعف ضعف النفس وحقارتها وتخاسسها حتى صارت بمثابة الشئ المحتقر، وقد كرم الله بني آدم، لا الضعف الذي هو التواضع المحمود ففرق بين الأمور، فمن تواضع رفعه الله، ومن تكبَّر أو تخاسس وضعه الله، فخير الأمور أوساطها، وكِلاَ طرفي قصد الأمور ذميم.

---

[1] الحديث رواه البخاري (٤٩١٨) و غيره في وصف أهل الجنة « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ **مُتَضَعِّفٍ**، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مُسْتَكْبِرٍ» و لفظ «**مستضعف**» عند ابن ماجه (٤١١٥) .

وَصَلَّى اللهُ وسلم مر الكلام عليها، ويأتي **عَلَى سَيِّدِنَا** أصله سيود فيعل من ساد قومه إذا فاقهم، ويطلق على الحليم عند الغضب، وعلى الكريم، وعلى السيد الجواد، وعلى المتبوع، وأذكر هنا قصة[1] بني سلمة حين وفدوا على النبي ﷺ فقال « من سيدكم يا بني سلمة؟ فقال قائلهم : الجد بن قيس على بخل فيه، فقال وأيُّ داء أدوى من البخل، ولكن سيد كم عمرو بن الجموح، فأنشد حسان قوله :

يقول رسول الله والحق قوله　　　فقال لنا من ذا تعدُّون سيدا

فقلنا له جد بن قيس على التي　　　تبخله فينا وقد نال سؤددا

فقال وأي الدا أَدْوى من التي　　　رميتم بها جدا وغل بها يدا

وسُود عَمرو ابن الجُموح لجوده　　　وحقٌّ لعمرو ذي الندى أن يَسودا

فلو كنت يا جد بن قيس على التي　　　على مثلها عمرو لكنت المسودا

وسيدنا محمد ﷺ جامع لصفات الكمال كلها، فلذا قال : « أنا سيد ولد آدم ».

---

[1] أوردها بطولها ابن عبد البر في الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١١٦٩.

مُحَمَّدٍ أعظم أسمائه، لما خلق الله آدم وخلق[1] فيه الروح وفتح عينيه فرأى اسمه ﷺ مقرونا بإسم الله على العرش، سأل ربَّه عنه، فقال الله : ﴿ هذا النبي من ذريتك ولولاه ما خلقتك، ولا خلقتُ سماء ولا أرضا ﴾، ولما نزل آدم إلى الأرض تذكَّر السيد الأعظم ﷺ ، فتشفع به إلى الله تعالى، فأوحى الله إليه : ﴿ يا آدم لو تشفَّعتَ إلينا بحبيبنا محمد في جميع أهل الأرض لشفعناك ﴾[2]

وهو أي الإسم الكريم، اسم مفعول المضعف تسمَّى به لكثرة خصاله الحميدة، سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله له ليوافق إسمه مسماه، وقد سماه بذلك قبل أن يخلق آدم بألفي عام، وأسماؤه في الكتب المنزلة على الأنبياء قبله كثيرة مشهورة في مظانها، وقد بلغتْ أسماؤه ﷺ إلى عدد كثير بالعربية وغيرها، فيجب على كل مسلم اعتقاد أن نبينا محمدا ﷺ ولد بمكة ونشأ بها وبُعث بها وهاجر إلى المدينة ومات ودفن بها، وصفاته كثيرة مشهورة في مظانها، فمن اعتقد أنه ﷺ

---

[1] أو نفخ (ع).

[2] روى بمعناه الحاكم في مستدركه (**٤٣٣٨**) وقال صحيح، و قال الذهبي : «موضوع». و قال السيد أحمد زيني دحلان في الدرر السنية : (وقد توسل به ﷺ أبوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد ﷺ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها).

أسود كفر. **خَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ** والمرسلين بعثا، وأولهم خلقا، ومن بديعيات السيوطي في إتقانه قوله «وختم بهم محمدا جعلهم ختما له لأنه الأول والآخر، قال : وفيه نوع من البديع يسمى القلب» ومر الكلام على النبي والرسول، **وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ** تقدم الكلام على الآل والطيبين و **الطَّاهِرِيْنَ** متقاربي المعنى، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، وفضل أهل البيت وطهارتهم مشهورة مذكورة، وما أحسن قول البوصيرى :

آلـ بيت النبي طبتم فطاب   المدح لي فيكم وطاب الثناء

ثم قال :

سدتم الناس بالتقى وسواكم   سودَتْه البيضاء والصفـراء

وقوله في قصيدته ذخر المعاد في مُعارضته بانت سُعاد :

آلـ النبي بمن أو ما أشبهكم   وقد تعذر تشبيه وتـمثيل

وأفضل أهل البيت أولاد فاطمة رضي الله عنها، وهم ذرية الحسن والحسين. والمهدي المنتظر الموعود به منهم إن شاء الله، وهذا أوان زمانه، وذريتهم مشهورة مدونة في كثير من الكتب والتواريخ ممن ادعى الإمامة والخلافة، ورغب عنها وأعطيها ومنعها.

ومن أقبل على الله والدار الآخرة، ورفض الدنيا وما عليها أبونا المهاجر أحمد ابن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين، الذي لم يبقَ على وجه الأرض حسيني إلا من نسله صاحب هذا الدعاء على ما مرَّ من الخلاف القائل فيه سيدنا الحبيب عبد الله بن علوى الحداد : «مثل الإمام علي زين العابديــــن القانت المتبتل المتخشع» وذكر جملة من فروعه، وقد شرح تلك القصيدة سيدنا وشيخ شيوخنا وآبائنا الحبيب العلامة أحمد بن زين الحبشي شرحًا عجيبًا، وأتى سيدنا الحبيب عبد الله بجماعة من ذرية سيدنا أحمد بن عيسى المذكور، حسبما رآه واستحسنه في ذلك المنوال، وبسط الكلام على كثير من أسلافنا الشيخ محمد بن أبي بكر الملقب بالشلي في المشرع الروي، فزاد على ما رآى سيدنا الحبيب عبد الله وترك كثيرا أيضا، وقد أذكر هنا (في) هذا المقام أبياتا سلفت في زمن الشباب لموجب قضية وحادثة نافت سير السلف، أحببت ذكر بعضها فمنها ما قلت :

واقتد بأسلاف وسر بطريقهم	فبها الأمان وكل قدر أرفع
قوم هدوا لشريعة وهدوا بها	فاكرع ورد الحياض أحسن مشرع
وسماتهم خضع الرؤس وشأنهم	قمع النفوس بكل حدٍّ أقطع

قوم لهم همم سمت فوق السما ... ورثوا الإمامة من إمام أصلع

قطعوا بسير الليل بعد طريقهم ... وصفوا بحق بالسجود الركع

قوم إذا أرخى الظلام سدوله ... لم تلفهم رهن الوطا والمضجع

ومضوا على قصد كأن ديارهم ... أقوت فأضحت مثل قفر بلقع

قد قال قبلي باكيا متوجعا ... أستاذنا الحداد أبلغ مسمع

آه على تلك الديار وأهلها ... من حادث الدهر الممض الموجع

وحكاهم استتروا لعذر تارة ... فأعجب لباك خلته لم يفجع

قوم هم الرؤساء في دار الجزا ... و بدارنا الدنيا فخلفهم اتبع

واذا تضق ذرعا لخطب ملمة ... فيهم إلى الرب الكريم تشفع

واخصص وجيه الدين واقصد بابه ... الجفري المغيار أحصن مفزع

عبد له الديان خص يجذبة ... وله سلوك في سواء المهيع

فرد له التصريف بعد مماته ... فاصرخ و ناد له بصوت يسمع

يا عبد رحمن انتهزها فرصة ... فاعزم ومجموع البلا مزع

وَعَلٰى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَجِبِيْنَ * وَعَلٰى جَمِيْعِ الْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّيْنَ وَالْمُرْسَلِيْنَ * إِنَّ رَبَّنَا حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ *

وَعَلٰى أَصْحَابِهِ اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابي، وهو من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا ومات كذلك، فيدخل الأعمى وغير المميز ولا يشترط رؤيته، وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان على الأرجح ثم علي ثم باقي العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر فأحد فبيعة الرضوان.

وقد صنف العلماء في طبقاتهم وأعدادهم ما فيه غنى، ومات النبي ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا، وقيل وأربعة وعشرين ألفا على عدد الأنبياء، وكلهم عدول، ويجب السكوت على ما جرى بينهم مع الإشراف للمتأهل على ذلك، إذا كان يقدر على حمله بمحامل حسنة، فكلهم على هدى، و للمخطئ أجر الإجتهاد، وللمصيب أجر الإجتهاد والاصابة، اللهم انفعنا بحبهم واعصمنا عن سبهم **الْمُنْتَجِبِيْنَ** المختارين من بين سائر الناس بالجيم وبالخاء على ضعف، فلا ينبغي كما في القاموس

وَعَلٰى جَمِيْعِ الْمَلاَئِكَةِ وهم أجسام نورانية لهم قدرة على التشكلات الجميلة لا يحصي عددهم إلا الله، فيجب الإيمان فيمن لم يعلم منهم إجمالا، ومن علم تفصيلا،

ويدخل البيتَ المعمور كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وأفاضلهم إسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل ورضوان ومالك.

وعلى جميع **النَّبِيِّيْنَ وَالْمُرْسَلِيْنَ** جمع نبي ورسول قد تقدم الكلام على ذلك، والنبي بالهمز مشتق من النبأ وهو المخبر، لأنه مخبر عن الله، ومخبر منه ومن النبوة على من قرأ مشددا وهي الرفعة لأنه مرفوع الرتبة.

إِنَّ رَبَّنَا حَمِيْدٌ في أفعاله كلها، حلوها ومرها نفعها وضرها، نسأله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، **مَجِيْدٌ** عظيم النعت رفيع القدر.

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ حَمِدَ فِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ * واسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَهُ * وَاسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ * وَجَعَلَ الْحَمْدَ دَلِيْلاً عَلٰى طَاعَتِهِ * وَرَضِيَ بِالْحَمْدِ شُكْرًا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ * الْحَمْدُ لِلّٰهِ بِجَمِيْعِ مَحَامِدِهِ * الْمُوْجِبَةِ لِمَزِيْدِهِ * الْمُؤَدِّيَةِ لِحَقِّهِ * الْمُقَدِّمَةِ عِنْدَهُ * الْمَرْضِيَّةِ لَهُ *

الْحَمْدُ كله **لِلّٰهِ الَّذِيْ حَمِدَ فِي الْكِتَابِ** القرآن **نَفْسَهُ** بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ﴾، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ وغيرها، **واسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَهُ** بالجر والرفع على الحكاية، أو على اسم السورة، **وَاسْتَخْلَصَ** انتقى واستصفى **الْحَمْدَ** حقيقة **لِنَفْسِهِ** ذاته لأنا نؤول المتشابه التأويل القريب ونطرح البعيد،

وَجَعَلَ الْحَمْدَ الثناء والمدح باللسان، والعمل بالأركان، والإقرار بالجَنان، **دَلِيْلاً عَلٰى طَاعَتِهِ وَرَضِيَ بِالْحَمْدِ** قول الحمد لله **شُكْرًا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ** ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل اللقمة ويشرب الشربة فيحمده عليها »[1]، إذ الشكر عرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله.

---

[1] رواه مسلم وغيره بـ«الأكلة» بدل «اللقمة».

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيْعِ مَحَامِدِهِ، المذكورة **الْمُوْجِبَةِ لِمَزِيْدِهِ** ، قال تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾، **الْمُؤَدِّيَةِ لحَقِّهِ**، المفترض علينا لا ما يستحقه، إذ ما قدروا الله حقَّ قَدْرِه سبْحَانَكَ لانُحْصِي ثَنَاءً عليك ما عرفناك حق معرفتك، ولا عبدناك حق عبادتك، **الْمُقَدِّمَةِ عِنْدَهُ** بقبوله لها، فله الحمد خلق ورزق وأقدر ووفق وجازى، قال تعالى :﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقال رسول الله ﷺ : « إن الله ليربي لأحدكم اللقمة كما يربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل»[١]، **الْمَرْضِيَّةِ لَهُ** عنا بأكثار النوافل والمداومة عليها، ففي الحديث القدسي : ﴿ ما تقرب المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه ﴾[٢] الحديث.

---

[١] مسند أحمد وغيره و قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : «صحيح لغيره»، قلت وله شواهد كثيرة في الصحاح.

[٢] قطعة من حديث في صحيح البخاري (٦٥٠٢) ، وهو مشهور.

الشَّافِعَةِ لِأَمْثَالِهَا * وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ وَيُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا * وَأَنْ يَحْبُوَهُ بِأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْجِنَانِ وَنَعِيْمِهَا * وَشَرِيْفِ الْمَنْزِلَةِ فِيْهَا *

الشَّافِعَةِ لِأَمْثَالِهَا إذا أُوتِرَتِ الْمُوَتَّرَةُ لها إِذَا شُفِّعَتْ[1] إشارة إلى الإكثار والمثابرة على المحامد المذكورة واستجلاب المزيد، **وَنَسْأَلُهُ** عاجزين عن القيام بحقوق الصلاة على النبي ﷺ **أَنْ يُصَلِّيَ وَيُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا**.

والصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأذكار وهي واجبة بأمر الله تعالى بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

وتوسط الشافعي رضي الله عنه بوجوبها في الصلاة، وفضائلها مشهورة، وقد ألف أئمتنا في صيغ الصلاة الواردة عن النبي ﷺ ، وللسلف مؤلفات كثيرة، وقد انتقى سيدنا وشيخنا الحبيب حامد بن عمر صلاةً سمّاها بـ«الصلاة المنتقاه على سيدنا محمد الذي اختاره الله واجتباه» وهي «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدِ النبيِّ الأُميِّ الطاهر الزكي صلاةً تحل بها العقد وتفرج بها الكرب...الخ».

---

[1] قوله (اذا اوترت الموترة لها اذا شفعت) أي: أنها تتم الوتر بالشفع، فتصير كاملة. (خ)

وَنسأله **أَنْ يَحْبُوَهُ** يعطيه سُؤْلَه في الآخرة من المقام المحمود والشفاعة العظمى، ويخصُّه **بِأَشْرَفِ** أعظم **مَنَازِلِ الْجِنَانِ وَنَعِيْمِهَا وَشَرِيْفِ الْمَنْزِلَةِ** الرتبة الرفيعة على سائر المراتب، **فِيْهَا** وهو مزيد القرب من الحضرة الإلهية فما فوق حضرته في الدنيا والآخرة إلا الحضرة الإلهية الملكية، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

قال سيدنا الإمام الحبيب الحامد وهذا الملحظ ينزع من جهة المعنى والمبنى من قوله ﷺ : « كم أجعل لك من صلاتي ثلثها نصفها كلها » وجوابه له في الأخير منها، «إذن تكفى همك ويغفر ذنبك»[1].

[1] الحديث المشهور، رواه الترمذي (٢٤٥٧) و أحمد (٢١٢٤١) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَحْضَرْتَنَا

اللّٰهُمَّ مر الكلام عليه، **إِنَّكَ** بتوفيقك لنا وإرادتك بنا الخير جعلتنا أهلاً لاكتساب الفضائل وورود المناهل واستمطار ودق الاستجابة بالدعاء في مواطن الإجابة، فـ**أَحْضَرْتَنَا** فيه إشارة إلى أنَّ أفعالَ العبدِ كلَّها مخلوقة لله تعالى، ليس له منها إلا الكسب المنسوب اليه، كما قال في الزبد :

واللهُ خالقٌ لفعل عبدِهِ * قدَّر قدرةً له مِن عنده
وهو الذي أبدع فعل المكتسبْ * والكسب للعبد مجاز انتسبْ

فالله خالق لا كاسب، والعبد كاسب لا خالق، فلا قدر ولا جبر قاله في «التعرف»، قال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وهذا مذهب أهل السنة سلفا وخلفا وسطٌ، فات أهل الطرفين ولم يفت أهل السنة الطرفان، وفي طبقات الشرجي عند ذكر بعض المشايخ من أهل النور من كلامه «يَا صَاحِبَ الطَّرَفَيْنِ لَا يَفُوتُكَ الْوَسَطُ»، فلعله عَنَى به هذه المسألة وأهل الطرفين المعتزلة والمجبرة، فقال المعتزلة بخلق الأفعال، فقالوا : بالثنوية، والمجبرة قالوا بإجبار العبد فضلُّوا وعطَّلوا، وفرقة قالوا لا يضر مع الإيمان بالذنب، وفرقة كفروا بالذنب، وفاز أهل السنة بالنمط الأوسط وهو معنى لاحول أي عن المعصية، ولا قوة أي على الطاعة إلا بالله، والتبري من الحول والقوة أحد أركان الإيمان.

خَتْمَ قراءتنا الحادثة لـ **كِتَابِكَ** المنزل على قلب نبيك بواسطة جبريل الدال على مدلولات كلامك القديم

الَّذِيْ عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ في وجوداته الثلاثة الذي أولها أمر نبيك بالإستعاذة، فقلتَ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾، والإستماع والإنصات، فقلتَ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾، ومنع الكفار عن أن يفهموه، فقلت : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾، و بالأمر بالتنزيل وغير ذلك من حرمة مس المصحف للمحدِث وقراءة الجنب وبيعه للكافر و عدم معارضة ألفاظه والعجز عن أن يأتوا بسورة من مثله، مع وجود أرباب البلاغة المباهين المريدين ذلك حتى رضوا بالدون ، فقالوا : «قلوبنا غلف» و «في أكنة» مما هو مشهور في مظانه.

وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِنًا شاهدًا **عَلٰى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ**، فجميع ما في الكتب السالفة فيه، وهو ناسخ لجميع أحكامها، قاص لجميع أخبارها، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، ومن هنا حسد اليهود نبينا ﷺ حتى حملهم على أن بدلوا التوراة ونعت النبي ﷺ ، نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء.

واتفق أن حبرا من النصارى قال لشيخ المحققين العز ابن عبد السلام : المتفق عليه أفضل أم المختلف فيه؟ فأجابه بأن المتفق عليه أفضل، فقال يكون عيسى أفضل من محمد لإنا اتفقنا على رسالـة عيسى ولم نوافق في محمد، فأطرق ثم رفع رأسه قائلا : من مقصودك بعيسى أهو الذي قال : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ أو عيسى آخر؟ فإن كان المبشر فلم تؤمنوا به لأنكم ما صدقتم قوله في محمد، وإن كان غيره فلم نؤمن نحن برسالته، فلم يكن عيسى متفقا عليه. فانتصر المسلمون.

وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ فِيْهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ * وَفُرْقَانًا فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلاَلِكَ وَحَرَامِكَ*

وَقُرْآنًا تنزيلا مقرؤا بالألسنة **أَعْرَبْتَ** بَيَّنْتَ **فِيْهِ عَنْ شَرَائِعِ** جمع شريعة الظاهر المستقيم من **أَحْكَامِكَ** جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف، وتطلق الشريعة على ما شرع الله لعباده، وهي الأحكام، والإضافة بيانية وهي والدين والملة تُعرف بأنها وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات، و من حيث إنها تخضع له و تدين تسمى دينا، و من حيث أنها تملي أحكامها تسمى ملة، ومن حيث إنها تقصد لإنقاذ النفوس وتخليصها تسمى شريعة، والأحكام الشرعية سبعة على ما قرره أهل الأصول، وهي الفرض بمعنى الإيجاب، والندب والإباحة والتحريم والكراهة، قيل : وخلاف الأولى، والصحيح والفاسد.

وَفُرْقَانًا فارقا **فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ** الحق والباطل وبين **حَلاَلِكَ** المأخوذ بالجمع بين المستقيم الظاهر والباطن وهو الذي أوجبتَ طلبه **وَحَرَامِكَ** المأخوذ بغير ذالك، وهو الذي أوجبتَ تركه، والحلال ما أحله الله لعباده بالذات والعارض، والحرام ما حرم الله بالذات والعارض، وبينهما مشتبهات كما في الحديث « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ ...

وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيْلاً ❋ وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ تَنْزِيْلاً ❋

لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه..»[1] وكلها مشروحة في مظانها.

وَكِتَابًا مصدر كتب **فَصَّلْتَهُ** بينته وأحكمته **لِعِبَادِكَ تَفْصِيْلاً** مصدر فصل، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ **وَوَحْيًا** بإرسال جبريل إلى نبينا محمد ﷺ بعد بلوغ أربعين سنة، وقد فطر على أحسن الفطر، وصفى من كل كدر، و بدئ بالمنام تدريجا له ليتأهل لمفاجأة تلك الملك الذي تضعف البشرية عنها، ولذا قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت جبريل على صور الأصلية إلا مرتين »[2]، وإنما يأتيه في صور، أقربُها ما هي على صورة البشر، وأشدُّها ما هو كصلصلة الجرس، فيلقي الوحي على قلبه فيقرؤه بلسانه، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية، وأول ما بدئ به الوحي في غار حراء جاءه جبريل،

---

[1] متفق عليه

[2] الحديث بمعناه مروي في صحيح مسلم (١٧٧) عن أم المؤمنين عائشة وعن ابن مسعود في مسند أحمد (٢٦٠٤٠).

فقال له : اقرأ ! فقال : ما أنا بقارئ، فغطه ثم قال له : اقرأ ! قال : ما أنا بقارئ، فغطه، ثم قال له: اقرأ !، قال : ما أنا بقارئ، فغطه أي ضمه اليه فبعد استجماعه وتأهله، قال له : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ إلى ﴿...عَلَّمَ بِالْقَلَم﴾، فقرأ ثم أقبل ترجف بها بوادره، فقال : «زمِّلوني»، وفي رواية : «دثروني» و نزلت بعدها ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾

أَنْزَلْتَهُ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ تَنْزِيْلاً مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، بعد أن نزل جملة، قال تعالى : ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ[١]﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾، وقال تعالى : ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾.

[١] في الأصل [إنا أنزلنا إليه الذكر] تصحيف.

وَجَعَلْتَهُ نُوْرًا تَهْدِيْ بِهِ مِنْ ظُلَمِ الضَّلاَلَةِ بِاتِّبَاعِهِ * وَشَفِيْعًا لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيْقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ * وَمِيْزَانَ قِسْطٍ لاَ يَحِيْفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ * وَضَوْءَ هُدًى لاَ تُخْبِيءُ الشُّبُهَاتُ نُوْرَ بُرْهَانِهِ *

وَجَعَلْتَهُ نُوْرًا تَهْدِيْ بِهِ مِنْ ظُلَمِ الضَّلاَلَةِ بِاتِّبَاعِهِ، النور ضد الظلمة والهدى ضد الضلالة، وسمى الله القرآن نورا لأنه يُستضاءُ به من ظُلمة الضلال، وسماه هدى قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾، وقال تعالى : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [١] ﴾

وسمي النبي هُدى وهاد، وهداية النبي والقرآن الإراءة، لا الإيصال إلى المطلوب، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾، وهداية الله هي الإيصال إلى المطلوب، قال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾.

وَشَفِيْعًا إليك في تحصيل الإيصال المطلوب **لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيْقِ** الإيمان الصادق، إذ هو محجة للمؤمنين وحجة على الكافرين، والقرآن حجة لك أو

---

[١] في الأصل [هدى وبشرى لقوم يؤمنون] تصحيف.

عليك **إِلَى اسْتِمَاعِهِ**، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، وقال تعالى في ضدهم : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، وقال تعالى : ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾

وَمِيْزَانَ قِسْطٍ عدل **لاَ يَحِيْفُ** يميل **عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ** لأن أدنى حيف يظهر لسان الميزان أتى بذلك تقريبا للأفهام بأن القرآن أتى بالحق المبين.

وَضَوْءَ هُدًى بين حجة لشمس الحق ف**لاَ تُخْبِىءُ** بفتح التاء والباء و بالهمزة المضمومة ثلاثيا[1] تغطي **الشُّبُهَاتُ** الباطلة **نُوْرَ بُرْهَانِهِ**، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

---

[1] هكذا في الأصل أي «تَخْبَأُ».

وَعَلَمَ نَجَاةٍ لاَ يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ * وَلاَ تَنَالُ يَدُ الْهَلَكَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ*

وَعَلَمَ نَجَاةٍ للمهتدين يهديه ف**لاَ يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ**، سلك طريقته، فمن أراد الله هدايته رأى بعين بصيرته ما يرشده، فعمل بمقتضى ما أمر به وانتهى عما نهي عنه، وإن لم يحظَ بتلاوته وقراءته الظاهرة، فحصلت له النجاة من المهالك، ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى[1]﴾ شهادة أن لآ إله إلا الله ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾

ومن أراد غوايته لا تنفعه مجرد التلاوة، « فكم من قارئ يقراء القرآن وهو يلعنه فيقول: ألا لعنة الله على الظالمين، فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[2]. اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علما وَاجعلنا بتلاوته منتفعين، فالشأن الإنتفاع إذ **لاَ تَنَالُ يَدُ الْهَلَكَةِ** ضد النجاة، **مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ**، حفظه عن المخالفات، وإتيانه بالمأمورات، وإن لم يحظ بتلاوته الظاهرة.

---

[1] في الأصل [ومن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت] فالصواب ما أثبتناه.

[2] ابن الجوزي في التذكرة في الوعظ ١/ ٨١ و الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين **١/ ٢٧٤** عن سيدنا أنس ابن مالك.

وفي تعبيره بالنجاة والسلامة من الهلكة إرشاد إلى أن التالي يحظى مع النجاة والسلامة بالفوز المرتب على فضل التلاوة إذ الحرفُ بعشر حسناتٍ «أَلِفٌ حرف و لام حرف وميم حرف»[1]، إلى ما شاء الله من المضاعفة المذكورة في فضل تلاوة القرآن، فكن من الـحائزين للغنيمة لا من السالمين من الهزيمة. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه عنا وأخذ بأيدينا إليه.

وفي هذا الفصل عدَّ نعمةَ الله على العبد بإحضاره ختم القرآن المعظم، الموصوف بالصفات المذكورة، فليستحضر شكرها ويقدّرها قدرها، وفي سكوته على ذلك إشارةٌ إلى أن إحصاء النعم متعذر، اذ لا تحصى النعم المرتبة على هذا الإحضار، ثم قال عائدا إلى تذكر نعمة سابقة على نعمة الإحضار، إن كان القارئ قارئا لتلك الختمة أو قدمه ليعم بالأوّل القارئ وغيره، ويخص بالثاني القارئ فقط إشارة إلى أن الإنسان يذكر بعض النعم ونسي بعضها، فقال :

---

[1] رواه الترمذي (٢٩١٠) عن سيدنا عبد الله ابن مسعود بإسناد صحيح.

اللُّهُمَّ فَإِذْ بَلَّغْتَنَا أنعمت علينا بنعمتي الإحضار والتبليغ وما يترتب عليها **خَاتِمَتَهُ** وهي آخر ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾، إذ فاتحته أم الكتاب والسبع المثاني، وترتيب السور والآيات توقيفي، أما ترتيب السور فمن جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و السلام، وأما ترتيب الآيات فمن سيدنا محمد ﷺ

فكان الناس يكتبونه في زمنه ﷺ في جريد وصحف وخرق، وحَفِظَهُ في زمن النبي ﷺ بعضُ أصحابه كزيد بن ثابت وأُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، فلما حصل القتل في وقعة اليمامة، وَقُتِلَ من القرَّاء ناس، أمر أبو بكر و عمر زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ بِجَمْعِهِ فَجَمَعَهُ رضي الله عنهم أجمعين.

فكانت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة، ثم في زمان عثمان أشار حذيفة إلى عثمان بجمعه، فأرسل إلى حفصة، «ارسلي إلينا بالصحف فننسخها، ثم نردها إليك»، فأرسلت إليه بها، فأرسلها عثمان إلى زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم، وقال : «انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد»، وقال للنفر القرشيين «إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوا على لسان

قريش، فإنما أنزل بلسان قريش»، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، والقى ما سوى ذلك من المصاحف وحرقه، ثم نسخ نسخا وأرسلها إلى الآفاق.

فأبو بكر رضى الله عنه أول من جمع القرآن في المصاحف حين قتلِ اليمامة، وعثمان الذي جمع المصاحف على مصحف واحد فهو الإمام، فيجب إتباع رسمه بلا خلاف عند العلماء إنتهى مُلَخَّصًا من المقنع لأبي عمرو الداني[١]

---

[١] ص**١٣** من المطبوع (باب ذكر من جمع القرآن في الصحف أولا، و من أدخله بين اللوحين، و من كتبه من الصحابة، و على كم من نسخة جعل، و أين وجِّه بكل نسخة)، فليراجع فإنه نفيس.

وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلاَوَتَهُ * وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي أَلْسِنَتِنَا حُسْنَ إِعَادَتِهِ * فَاجْعَلنَا يَاربِّ يَا اللَّهُ مِمَّنْ يَتْلُوْهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ * وَيَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ

وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلاَوَتَهُ، لأنه الذي لا يذوى ولا يغلق بكثرة الرد، لا تنقضي عجائبه.

وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي جوانب **أَلْسِنَتِنَا** أشار بذلك إلى أن مخارج الحروف ليست كلها من اللسان، لأن بعضها من الجوف وبعضها من الشفة وبعضها من الحلق، أو إلى أن ما كان من جانب اللسان كالضاد عسر المخرج، فسهله الله على فصحاء العرب، ولذا نص على إخراج الضاد الذي هو من جانب الفم مستطيلا إلى مخرج اللاَّم من الظاء الذي هو من وسط اللسان، وعلى إخراج القاف من الكاف، اذ القاف من أقصى اللسان فوق، والكاف من أسفلها أسفل.

حُسْنَ إِعَادَتِهِ أشار إلى أنه يحسن بكثرة الإعادة لأن التكرار مؤثر لذلك، بسهولة الحفظ والفهم وتنوُّر القلب، إذ «الخير عادة»[١] كما فى الحديث، وكما أنعمت علينا بنعمة الإحضار والتبليغ ومحبة التلاوة وتسهيله على حواشي الألسنة تفضلا منك.

---

[١] سنن ابن ماجه (٢٢١) عن معاوية.

فَاجْعَلنَا يَاربِّ ورب الخلق أجمعين، والإضافة إلى ياء النفس للتقرب والمناجاة والتحبب إليه، وإظهار الذلة بالإنفراد والعبودية المشار إليها، بقوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي

الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝ ﴾، وما اعتيد من زيادة **يَا اللَّهُ،** فلا بأس بها، لأنه الإسم الأعظم

مِمَّنْ يَتْلُوْهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ، الباطنة بالتقدير والتفكر والإعتبار بالقصص والأمثال والوقوف عند الحدود، والإمتثال لما أمر والإنتهاء عما زجر، والظاهرة بالقراءة الكاملة الشروط بتلقيها عن الشيوخ وأهل الأداء والإتيان بها على إحدى القراءات السبع المعتبرة أو العشر على خلاف فيها، اذ هي عند بعض أهل العلم ملحقة بالسبع، ومن أبدع ما صنف في علم القرآءة نظما الشاطبية المساة بـ«حرز الأماني ووجه التهاني» وهي نظم «التيسير» لأبي عمرو الداني وهو أبدع المصنفات فيها نثرًا، وقد قال الشاطبي :

وفي يسرها التيسير رمتُ اختصاره ... فاجنب بعون الله منه مؤملا

وألفافها زادت بنشر فـوائد ... فلفت حياء وجهها أن تفضلا

و قد ألحق بعض المصنفين في علم القراءة ما اختلف فيه أهل القراءات الثلاث المزيدة على السبع بنظم على نمط الشاطبية.

وكذلك من حق تلاوته الظاهرة، القيام بتجويد القرآن بمراعاة مخارج الحروف وصفاتها وتفخيم المستعلى وترقيق المستفل، ومراعاة الإظهار والإدغام والإخفاء والإقلاب والغنة والوقوف، وحسنها وقبحها وتامّها وكافّها مما هو مبسوط في محاله، وكذلك من حق التلاوة مراعاة رسم المصحف الإمام والقطع والوصل والزيادة والحذف وغير ذلك.

وقد كان عادة سلفنا رضي الله عنهم القيام بهذه الأمور كلها، حتى أن أكثر من ذكرهم الشلي في المشرع الروي يقول في أول مناقبهم «ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم» و «حفظ الجزرية والشاطبية».

وَيَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ بالقيام له بما أوجبه الله لـه من التعظيم والإحترام الظاهر والباطن، والتفخيم كالقيام له وتحسين كتابته وتبجيلها وعدم بيعه لغير حاجة وغير ذلك مما يليق بتعظيمه.

وَيَدِيْنُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّصْدِيْقِ بِمُحْكَمِ بَيِّنَاتِه * وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِ آيَاتِهِ *

وَيَدِيْنُ يخضع وينقاد لك **بِاعْتِقَادِ التَّصْدِيْقِ** الإيمان الصادق والإعتقاد هو الإدراك الجازم المطابق للواقع بدليل، وهذا حد للمعرفة التي لا تقبل النقيض، وغير الجازم ظنٌّ، فإن اطمأنَّ إليه القلبُ غير مستحضر للدليل كعآمة المؤمنين كفاه في الايمان، وغير المطابق للواقع جَهْلٌ مُرَكَّبٌ أَوْ بسيطٌ، وقد قيل : «الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لايدري فذلك جاهل فارفضوه».

بِمُحْكَمِ متضح **بَيِّنَاتِه** آياته البينات المعاني، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾، لأن المعاني كلها ترجع إليها، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ ﴾ خفيات المعاني، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أصحاب العقول، وعبر هنا بقوله «ويدين» إشارة إلى أن الدين هو الإنقياد والخضوع للآيات المحكمات لما فيها من الأحكام وغيرها من الإعتقادات والإعتبارات واجتنا المعارف، ولما هو ظاهر من الفرق بينه وبين المتشابه، ولـذا عبَّر فيه بقوله :

وَيَفْزَعُ يسرع في الإلتجاء **إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِ آيَاتِهِ** غير متضح المعنى، بأن يفوض إليه كالسلف وهي طريق السلامة، أو يؤوَّل وهي طريقة الخلف، إذ هي مفيدةُ العلم بالتأويل القريب لا البعيد فلا بد من التفويض، ولذا قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد :

وكن في أحاديث الصفات وآيها   على مذهب الأسلاف حيث السلامة

والتفويض لا بد معه من العلم، بأن له تأويلاً دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فنكِلُّه إليه، وقد أوَّل الخلف الإستواء بالإستيلاء، و العين بالبصر، واليد بالقدرة، وقلب بين أصبعين أي أن قلوب العباد كلَّها بالنسبة إلى قدرته شئٌ يسيرٌ، كما يقلب الواحد من عباده اليسير بين أصبعين، فهي أعلم.

وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ لاَ تُعَارِضُنَا الشُّكُوْكُ فِيْ تَصْدِيْقِهِ * وَلاَ يَخْتَلِجُنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيْقِهِ *

وَيفزع إلى **الْإِعْتِرَافِ** بِأَنَّهُ أي القرآن كله **مِنْ عِنْدِكَ،** محكمه ومتشابهه قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلاَفًا كَثِيْرًا ﴾، لاَ **تُعَارِضُنَا الشُّكُوْكُ** العارضة المتراكمة من أدخنة الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس، فإن الوسوسة في الإيمان من الإيمان، بل هي مدفوعة بالإعتقاد الجازم للعارفين، والطمأنينة الثابتة لعآمة المؤمنين **فِيْ تَصْدِيْقِهِ** بجميع ما جاء به، إذ هو الحق الذي دحض جميع الأباطيل، والصدق الذي لا إلى ردّه من سبيل.

وَلاَ يَخْتَلِجُنَا يقتطعنا ويجذبنا، **الزَّيْغُ** الميل الناشئ من المتشابه الذي قصرت عنه الأفهام إلا بنور البصيرة **عَنْ قَصْدِ طَرِيْقِهِ** التي بينها المحكم المأمور باتباعه، وإنا نكل معنى ما لا نفهمه إليه، ولذا صنف ابن اللبان كتابًا سمّاه «رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات»، أبدعَ فيه غاية الإبداع، اضطرَّه إليه حملُ بعضِ المبتدعة الوارد من ذالك على ظاهره، فضلُّوا وأضلُّوا.

ثم إنه لما أتى إلى هذا الفصل، لاحظ نعمة عظيمة، خص الله عباده بها، وهي تأهيلهم لحمل القرآن الذي عجزت عنه الجبال الرواسي، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ﴾ الآية.ثم جعله من المؤمنين المذعنين المنقادين لحكمه، العارفين لقدره، فقال :

اللَّهُمَّ وَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوْبَنَا مُذَلَّلَةً بِحَمْلِهِ للعمل به حيث كلَّفْتَنَا بالعمل به، ووفَّقْتَنَا لَهُ، فلم نكن مثلَ الَّذِيْنَ حَمِلُوا التوراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُواهَا، إذ شبَّهتَهم بالحِمَارِ الذي يحمل أسفارًا.

والقلوب جمع قلب، و القلب أشرف أعضاء الإنسان، ويطلق على العقل، كما في قوله تعالى : ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾، ويطلق على اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، المودعة في القلب، الذي هو المضغة من اللحم الصنوبري في الجانب الأيسر من الإنسان، وله تعلق بعالم الأمر، فهو كالملك للأعضاء التي هي من عالم الخلق، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح

سائر الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1]، فعلى الإنسان أن يعمره بفعل الأعمال الصالحة المفيدة لصفائه وابيضاضه، وباجتناب المعاصي الموجبة لإسوداده والطبع عليه، قال تعالى : ﴿ كَلاَّ ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

وعليه أيضا أن يخلِّيَه وينزهَّه عن رذائل الصفات المُهلكات، ويُزكِّيه ويحلِّيه بالصفات المنجيات المشروحة في الكتب الغزالية، فعلاجه ممكن و واجب، و من فطره الله على سلامة القلب من خواص عباده لا يحتاج إلى ذلك، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، أي مفطور على السلامة، أو مزكى بالرياضة، وزعم بعضهم إنه لا بُدَّ من العلاج مردود عند الجمهور.

[1] متفق عليه.

وَعَرَّفْتَنَا مِنْكَ شَرَفَ فَضْلِهِ * فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا الله مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ * وَيَأْوِيْ مِنَ الشُّبُهَاتِ إِلى عِصْمَةِ مَعْقِلِهِ *

وَعَرَّفْتَنَا تفضلا ومَنًّا **مِنْكَ شَرَفَ** رفعة **فَضْلِهِ** باحتوائه على جميع معاني الكتب المنزَّلة وزيادة بالمفصَّل كما في الحديث الصحيح وألهمتنا فهم الإطلاع على معانيه العزيزة المنال، إذ الفهم في القرآن لا يتناهى، فكلٌّ يأخذ منه على قدر ما قسم له، وإليه الإشارة بقول الإمام علي رضي الله عنه «إلا فهما أوتيه رجل في القرآن»[1]، ولما كان القلب له التعلق بالأمر الإله، أشار بعض الأئمة بقوله القرآن نزل وتنزل، فالنزول مضى، والتنزل باق إلى يوم القيامة، ولعله أشار بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾، وغير ذلك من الآيات

فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا الله مِمَّنْ يَعْتَصِمُ يمتنع **بِحَبْلِهِ** عهده وذمته ويقوم بأمره ونهيه فنكون من الموفِّين بعهد الله وعقوده، المخاطبين بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾، **وَيَأْوِيْ** يفزع ويفر **مِنَ** مخاوف ليل **الشُّبُهَاتِ** العارضة في التوحيد **إِلى عِصْمَةِ** منعةِ **مَعْقِلِهِ** حصْنِه المنيع وهو دعوتُه إلى التوحيد، إذ القرآنُ كلُّه دعوةٌ إليه،

---

[1] رواه البخاري (**٣٠٤٧**) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «قُلتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: هلْ عِنْدَكُمْ شيءٌ مِنَ الوَحْيِ إلَّا ما في كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما أعْلَمُهُ إلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً في القُرْآنِ...».

وحُجَجُه الدامغةُ للمعارضين، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾، فبرسوخ شجرة التوحيد والتَّبَرِّي من الحول والقوة يستقرُّ معنى أن «لآ إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»[1] ، في سائر أحواله وتقلباته وتصرفاته، وإليه الإشارة بقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي «نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب، ﴿ فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ إلى آخر ما قال.

---

[1] قال الإمام أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج٣ / ص١٩٢): ثَنَا **عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا**، حَدَّثَنِي **أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ**، حَدَّثَنِي **أَبِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ**، حَدَّثَنِي **أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ**، حَدَّثَنِي **أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ**، حَدَّثَنِي **أَبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ**، حَدَّثَنِي **أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ**، حَدَّثَنَا **رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنْ **جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ**، قَالَ: " **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي، مَنْ جَاءَنِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ فِي حِصْنِي , وَمَنْ دَخَلَ فِي حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي﴾ . هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مَشْهُورٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ رِوَايَةِ الطَّاهِرِينَ عَنْ آبَائِهِمُ الطَّيِّبِينَ، وَكَانَ بَعْضُ سَلَفِنَا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ إِذَا رَوَى هَذَا الْإِسْنَادَ، قَالَ: **لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَأَفَاقَ** اهـ قوله (بعض سلفنا) منهم الإمام أحمد رحمه الله.(خ)

وَيَسْكُنُ فِيْ ظِلِّ جَنَاحِ هِدَايَتِهِ * وَيَهْتَدِيْ بِبَلَجِ إِسْفَارِ ضَوْئِهِ * وَيَسْتَصْبِحُ بِضَوْءِ شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ * وَلاَ يَلْتَمِسُ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ *

وَيَسْكُنُ يستقر **فِيْ ظِلِّ** منحه **جَنَاحِ** كنف وحرز **هِدَايَتِهِ** دلالته الموصلة إلى المطلوب، **وَيَهْتَدِيْ** يسلك الطريق البينة **بِبَلَجِ** ظهور **إِسْفَارِ ضَوْئِهِ** المشرق، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾، فالتعبير بهذا الدال على الحاضر إشارة إلى شدة الظهور، فاتبعوه وهو صراط المنعم عليهم في قوله تعالى:﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، و لذا أوجبه الله تعالى له علينا في كل يوم سبع عشرة مرة.

وَيَسْتَصْبِحُ بِضَوْءِ إشراق شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ المتوقدة للمهتدين بنور الله، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور ﴾، فتأمل آية النور إن كنتَ من أهل النور، فمن كان من أهل النور لا يهتدي بغير نوره.

وَلَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ قال ﷺ : «إن الله أنزل هذا القرآن آمرا و زاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما كان بعدكم، وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه هو الحق، ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خصم به فلج، و من قسم به قسط، و من عمل به أجر، و من تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره

أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والفوز المبين، والصراط المستقيم وحبل الله المتين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد »[١].

وانظر إلى ما قاله الإمام الغزالي في خطبة جواهر القرآن، من أنه البحر المحيط الذي يتشعب منه علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهاره وجداوله، وأخذ من ذلك سيدنا الحبيب قطب الإرشاد عبد الله بن علوي الحداد قوله :

ألا أنه البحر المحيط وغيره   من الكتب أنهار تمد من البحر

وحيث بلغ إلى هذا الفضل وأرشدك إلى أن الله أنعم عليك بنعمة القرآن الهادي من الضلالة، أنشأ داعيا بقوله شاكرا لتلك النعمة ذاكرا لها :

---

[١] سنن سعيد بن منصور و أورده القاضي عياض في الشفاء.

اللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَهُ عَلَمًا لِلدَّلاَلَةِ عَلَيْكَ * وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيْلَ مَنْ نَزَعَاتُهُ إِلَيْكَ * فَاجْعَلْهُ وَسِيْلَةً لَنَا

اللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَهُ رفعته **عَلَمًا** منيرا في وجوداته الثلاثة **لِلدَّلاَلَةِ عَلَيْكَ** بدلالته على صفتك القائمة بذاتك المنزهة عن الصوت والحرف والإنفصال والإتصال والحلول والإنتقال وهذه هي المعرفة الحاصلة بالدليل والبرهان،

وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيْلَ أوضحت به طريق **مَنْ نَزَعَاتُهُ** اشتياقاته **إِلَيْكَ** إلى معرفتك الخآصة الحاصلة بالشهود والعيان التي هي الجنة المعجلة لأهلها، ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مشربهم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، فُسِّرت ليعرفون، ومن فسَّرها بالعبادة فهي مستلزمة لها، إذ لا تصح العبادة إلا بالمعرفة، وَ إذ تفضَّلتَ عليه بهذه النعمة العظيمة.

فاجْعَلْهُ أي تلاوتنا له وعَمَلُنا بما فيه ومحبَّتنا له وتعلُّمنا له **وَسِيْلَةً** ما يتقرب به إلى الله من الأعمال **لَنَا** بترقينا بعبادتك التي رضيتها وقبلتها تفضلا منك وبما خصصتنا به من المعرفة التي هي أفضل العبادة على حسب ما يليق بنا إذ ما عرفناك حق معرفتك.

إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ * وَسَبَبًا نَحْوِيْ بِهِ النَّجَاةَ فِيْ غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ * وَسُلَّمًا نَعْرُجُ فِيْهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلاَمَةِ * وَذَرِيْعَةً نَقْدُمُ بِهَا إِلَى نَعِيْمِ دَارِ الْمُقَامَةِ *

إِلَى أَشْرَفِ أعظم وأرفع **مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ** الحاصلة للمتقين الموعودين بها في قولك : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، يشهده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ الآيات.

فالإتصاف بصفة المعرفة ثم الإستقامة الدالة على المحبة التى هي أخص ثمرات المعرفة هي مرتبة الأولياء الذين هم عِباده الخواص، وأما المعرفة الخالية من المحبة كمعرفة الكفار الخالية عن العبادة، فلا تنفعهم وإن كانوا عارفين، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الى غير ذلك من الآيات. اللهمَّ ارزقنا الإستقامة التي هي في الدنيا أعظم كرامة وفي الآخرة وسيلة إلى أشرف **مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ** التي تليق بكلٍّ على حسب حاله، فمراتب الأنبياء غير مراتب العارفين، ومراتب العارفين غير مراتب عامة المؤمنين، فأكثر أهل الجنة البله، وعليون لذوي الألباب.

وَسَبَبًا ما يتوصل به الى تحصيل المطلوب **نَحْوِيْ** نجمع **بِهِ النَّجَاةَ** جميعها من الحساب والعقاب والعذاب، **فِيْ غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ** جميع مواقفها التي هي أولها النشر ثم

الحشر ثم أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال ثم هول الموقف ثم الوزن ثم الصراط ثم الورود إلى النار ثم الدخول في الجنة، فنسأل الله أن يدخلنا الجنة من غير سابقة عذاب ولا عتاب **وَسُلَّمًا** مرقى **نَعْرُجُ فِيْهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلاَمَةِ** نرتقي به إلى محلها، وفي تعبيره بالسُّلم إشارة إلى رفعة السلامة، وضعة ضدها، و في تعبيره بالعروج إشارة إلى طلب السرعة خوف الوقوع فى ضدها. **وَذَرِيْعَةً** وسيلة **نَقْدُمُ بِهَا إِلَى نَعِيْمِ دَارِ الْمُقَامَةِ** الجنة الذي أعلاه النظر إلى وجهه الكريم وهي سبع جنان، فأفضلها الفردوس فجنة المأوى فجنة الخلد فجنة النعيم فجنة عدن فدار السلام فدار الجلال وهي موجودة نزل منها آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فيجب الإيمان بذلك، وفي الحديث : «أن أدنى أهل الجنة من له إثنتان وسبعون زوجة، وثمانون ألف خادم، وقصر من لؤلؤ و زبرجد و ياقوت كما بين الجابية وصنعاء»[1] قال الله تعالى : ﴿ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾[2]

---

[1] أخرجه الترمذي و أحمد عن أبي سعيد الخدري.

[2] متفق عليه

ثم إنه لما عرَّفك نعم الجنة لأهلها وأن الأعمال وسيلة إلى حصولها أشار إلى أن المعرفة والعبادة نعمة وجنة معجلة في الدنيا، قال مالك بن دينار : «خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء منها، قيل وما هو؟ قال : المعرفة» وقال يحيى بن معاذ : «في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى شيئ ولم يستوحش من شيء» وقال إبراهيم بن أدهم : «لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيف» إلى غير ذلك من مقالاتهم، وحيث كان ذلك موعودا للعاملين بذلك كما في قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ أشار إلى أنه يكون ذلك بسبب ما قد وفقهم سبحانه له من الإتصاف بصفات من يستحقون الجزاء على ذلك فقال :

اللّٰهُمَّ وَاجْعَلْهُ لَنَا فِيْ ظُلَمِ اللَّيَالِيْ التي من شأنها الوحشة، **مُؤْنِسًا** بالتفكُّر في معانيه والتدبر والإعتبار بما فيه، كما هو شأن المستأنسين بالليل الذي قال بعضهم «لي كذا وكذا سنة ما غمني إلا طلوع الفجر» وقال آخر : «أهل الليل في ليلهم كأهل اللهو في لهوهم»، فأهل القرآن والذكر يستأنسون بتلاوتهم وذكرهم ويتلذذون بها، وكذلك سائر العبادات، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ﴾ الآية.

وَلِأَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِيْ حَابِسًا * ولِأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْحَوْضِ فِيْ البَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسًا *

فمقام الأنس بالله و تذكره من مقامات العارفين ومن أنس بالله استوحش من غيره، ومن أنس بغير الله فهو فاقد الأنس، قال بعضهم : «الإستئناس بالناس من علامة الإفلاس».

وَلِأَقْدَامِنَا جمع قدم **عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِيْ** جمع معصية وهي كالسيئة الآتي ذكرها، والحرام والذنب ما يعاقب على فعله ويذم فاعله ويثاب التارك له إمتثالا. يريد أن يكون له عن فعلها **حَابِسًا** بأن يصير إتباع أوامره والإنزجار عن نواهيه كالقيد للأقدام، فلا تقدم على فعل معصية بسبب ما فهم منه ذلك، وهو المقصود من قراءة القرآن

ولِأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْحَوْضِ فِيْ البَاطِلِ ضد الحق **مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ** للأقدام على قدره النقل ولا للّسان عن النطق **مُخْرِسًا** بأن لا يتكلم إلا بالحق أي ما جاز به الكلام أو ما وجب أو ندب، فالمكروه من جانب الباطل، وفي الحديث : « كل كلام ابن آدم عليه

لا له إلا ذكر الله وما والاه »[1]، وفي رواية أو عالم أو متعلم.

ومعاصي اللسان كثيرة، ومن أعظمها **الكذب** و هو الإخبار بغير الواقع سواء كان نفي إثبات أو إثبات منفي، وهو من صفات النفاق، كما في الحديث : « آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »[2] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. و**الغيبة** وهي ذكرك أخاك المسلم بما يكره، وأعظمها غيبة حملة القرآن وأهل العلم، فقد عدها الفقهاء من الكبائر الموبقات. و**النميمة** وهي نقل كلام أخيك على الغير بنية الفساد، فإن كان ذا قدرة على المنقول عنه فهي سعاية وغير ذالك من معاصي اللسان. وفي إرشاده إلى قوله : (ما آفة) إشارة إلى أن الإنسان لا يغفل عن الدعاء بالعافية من الآفات، ولا يدعو على نفسه بالشر، ليوافق ساعة إجابة، وإلى أن مجرد الخرس لا يصير طاعة مع عزم القلب على فعل المعصية، وإن كان من الأسباب المعينة على ذالك، إذ قيل من العصمة أن لاتقدر، فمِن لطفِ الله أنَّ مَنْ همَّ بسيئة فلم يعملها لوجه الله لم يُكتب عليه الهم.

---

[1] عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله » (رواه الترمذي (**٢٤١٢**)، وابن ماجه (**٣٩٧٤**)، وقال الترمذي : هذا حديث غريب.

[2] متفق عليه.

وَلِجَوَارِحِنَا عَنِ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ زَاجِرًا * وَلِمَا طَوَتِ الْغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِبَارِهِ نَاشِرًا *

ثم لما أتى بواحد من الجوارح التي هي مفردة وواحد من الجوارح التي هي مثناة عطف عليها عطفا عاما بعد خاص إشارة الى شدة الإعتناء بضبط الأَوَّلَيْنِ، وإلى أغلبيَّتهما على الإنسان فقال: **وَلِجَوَارِحِنَا** جميعها **عَنِ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ** جميع الذنوب والمحرمة والمأثم المتعلقة بالخلق والخالق، والمتعلقة بالله وحده **زَاجِرًا** ناهيا ومانعا أي حاملا على تركها إمتثالا لما جاء به. إذ النهيُ يطلق على المنع وعلى استدعاء الترك بالقول، والقرآن بهذا المعنى، ولا يكون حاملا على الإتباع إلا لمن وفقه الله للإنتهاء عما نهي عنه، فلذا دعا بذلك، وفي الحديث : « اقْرَأ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تقرَأه »[1]، فمرادنا بالنهي هنا الحمل على ترك ارتكاب المناهي. وَاجعله **لِمَا طَوَتِ الْغَفْلَةُ عَنَّا** بجهلنا لمعاني القرآن وما يجب علينا **مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِبَارِهِ نَاشِرًا** لها بالإهتداء بهديه يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَى ﴾، لما اشتاق للوحي لما أبطأ عليه. فبتلاوة القرآن تحي القلوب، وتجلى مرآتها للإعتبار.....

---

[1] قال العراقي : «رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١\١٨٤ : «فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، **وقد وثق**».

حَتَّى تُوْصِلَ إِلَى قُلُوْبِنَا فَهْمَ عَجَائِبِ أَمْثَالِهِ ❋

والإستبصار ﴿ لِيَدَّبَّرُوْا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾، ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾، ﴿ سَيَذَّكَرُ مَنْ يَخْشَى ﴾، وغير ذلك من الآيات. ولما كان فعل الطاعات و اجتناب المعاصي من أسباب صفاء القلب وكان غايته ذلك قال :**حَتَّى تُوْصِلَ إِلَى قُلُوْبِنَا** جمع قلب الذي هو ملك لسائر الجوارح، وإذا صلح صلحت، واذا فسد فسدت بعد صقالها بما ذكر **فَهْمَ عَجَائِبِ أَمْثَالِهِ** الأمثال العجيبة المضروبة للعالمين، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُو ﴾ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾، فمن صَفَّى قلبَه بفعل الطاعات وترك السيئات انفتح له معرفة ضرب الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون، ومن أعجبها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾، ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ ۖ ﴾ ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُوْنَ ﴾ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والباطِلَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾.

وَزَوَاجِرَ نَهْيِهِ الَّتِيْ ضَعُفَتِ الْجِبَالُ عَنِ احْتِمَالِهِ ❋

وَ توصل أيضا إلى قلوبنا التي اكتسبت صفاءً بفعل الطاعات وترك المنهيات، **زَوَاجِرَ** كواف مَوانع **نَهْيِهِ** المستلزمة لجواذب أمره، كما بينته في «الرسائل»، والمراد بها صفات التقوى الباطنة السائقة كالخشية والخوف والوجل والإشفاق والهيبة والتعظيم والإجلال، والقائدة كالرجاء و حسن الظن والمحبة والشوق والأنس والتفويض ومحو النفس وشُهودها وغير ذلك مما لا يخفى على ذي مِسكة وتحقيق ونظر في علم القرآن الدقيق وأهلية ومشرب وإشراف على علوم الطريق **الَّتِيْ** تحملنا على ترك ارتكابه لأنه الذي **ضَعُفَتِ الْجِبَالُ عَنِ احْتِمَالِهِ** إذ نهيُ القرآن الذي هو استدعاؤه التركُ بالقول من الأمانة التي ضعفت الجبال عن احتمالها، إذ يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ﴾، وفسرت بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ إلى آخر الآيات، وفيه إشارة الى أن ذلك لما سبق من قوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ فرتّب الثواب والعقاب للمطيعين والعاصين، وجعل النار مثوىً للظالمين والجنة مأوىً للمتقين. وقوله : «وزواجر» معطوف على فهم طلب إيصال فهم عجائب الأمثال و زواجر النهي، وجعلها غاية وثمرة لإكتساب الطاعات واجتناب المعاصي، وهو سائغ وشائع، وقد رأى بعضهم عطفَها على عجائب، وخفضها

بتقدير فهم، ورأى أن المطلوب بذلك إيصال فهم النهي الذي هو استدعاء الترك بالقول، وهو ملحظ ضعيف لا يوافق ما أراده المؤلف، وقد رددته عليه في غير هذا الموضع بما فيه كفاية.

ثم إن المؤلف لما كان مترقيا في مراتب الشاكرين سالكا طريق المحبين، ورأى أن اكتساب الطاعات واجتناب المعاصي لا يكاد يتيسر إلامع حصول القوام للمعاش، حتى قيل إن الأكل من الدين، إذ أحوجَه سبحانُه إلى الأقوات والمشتهيات و جبله عليها وهي من متاع الدنيا المظلمة القاطعة عن الوصول إلى الله، فمن رعايته له أنَّ أمرَه بالذكر والتسمية والختم بالحمد والشكر ليكون الذكر لله حافظا له من نُهْمتها و مَاحِيًا لما يترتب عليه عند مناولتها من ظلمتها، ومذكِّرا له بالنية الصالحة بصرفها لطاعتها، فيغلب نور الذكر ظلمتها وشرتها ويبقى خيرها ونفعها و بركتها، ويبدل الله سيئتها حسنتها، فتلحق بالكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ طلب ما يكون عونا على ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »[١]، فقال :

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، قال الحافظ : صححه أبو عوانة، وابن حبان، والحاكم اهـ الفتح.

يَاكَرِيْم اللّٰهُمَّ وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتَنَا بِالْغِنَا مِنْ عُدْمِ الْإِمْلَاقِ ❋

اللّٰهُمَّ وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتَنَا شدة حاجتنا **بِالْغِنَا مِنْ عُدْمِ** أي الذي هو عدم **الْإِمْلَاقِ** كما في قوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾، فمن بيانية وهو ضد الفقر.

وكان المؤلف من المفضلين الغني الشاكر على الفقير الصابر، وعليه جمهور العلماء إذ الغني آخر أحواله ﷺ ، ودليلهم قوله ﷺ للفقراء حين قالوا له ﷺ : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون الخ... «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[1].

وقد روي عن بعض العارفين لما حج سئل عن أعجب ما رأى في حجته، فقال : «رأيت شخصا أخذ بحلقة من حلق الكعبة وهو يطلب شيئا من الدنيا ورأيت شابا فى منى باع متاعا بنحو ثلاثين ألف درهم، و ما غفل عن الله في بيعه ذلك لحظة، فأخذت منه غيرة حتى تقيأت دمًا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» فالمذموم الغفلة بالغنى أو الفقر، فما يمدح لا لذاته يذم لا لذاته.

---

[1] متفق عليه.

وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخِصْبَ السَّعَةِ فِيْ الْأَرْزَاقِ * وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَفْوَةِ[1] الْكُفْرِ

وَسُقْ إِلَيْنَا يسِّر لنا **بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ** واسعة **وَخِصْبَ السَّعَةِ** رِفاهة العيش **فِيْ الْأَرْزَاقِ** جمعها لأن منها ما هو مضمون كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾، وما هو مقسوم كما في قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ و ما هو منوط بغيره كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾، ويمكن أن يراد بالغنى غنى القلب، و بالفقر فقر القلب وإن وجد المال، وما أحسن ما قاله سيدنا الحبيب الشيخ قطب الإرشاد عبدالله الحداد في قصيدته المشهورة : « إن القناعة كنز ليس بالفاني...» إلى آخر ما قال.

وكذا ما قاله الشيخ أبو مدين :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا

وقلت في قصيدة لي :

---

[1] و في عدة نسخ الصحيفة «هوَّة الكفر» و الهُوَّة : حفرة بعيدة القعر. (خ)

وكم من غني فقرٌ وفقر غدا غنى   ستدرون مهما زرتمو للمقابر

دعا المؤلف بهذا الدعاء لا لطلب التشهي وإعطاء النفس هواها بل ليتوصل به إلى استخراج الشكر، ومن كان بهذه المثابة، الغنى خير له من الفقر، والله سبحانه مدبر أمر عباده، فمن كان صلاحه في الغنى أغناه، ومن كان صلاحه في الفقر أفقره كما في الحديث القدسي.

وَاعْصِمْنَا بِهِ احفظنا باتباع أمره ونهيه **مِنْ هَفْوَةِ الْكُفْرِ** ما يدني من المعاصي إلى الكفر، لأن المعاصي بريد الكفر، و من أشدها خوف الفقر، ولعلها المعبر عنها بقوله ﷺ : «كاد الفقر أن يكون كفرا»[1] وقال ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والنفاق »[2]، وذلك لأن الفقر المؤدي إلى الهلع والجزع يجانب الإيمان الذي هو الثقة بالقسمة والوعد والضمان ولذلك لما علم عدم طمأنينة العباد إلى مجرد الوعد في قوله : ﴿ ورزقكم في السماء وما توعدون ﴾ أقسم على ذلك بقوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُوْنَ ﴾، فما أرحمه وألطفه بعباده حيث علم منهم أَقْسَم لهم بهذا القَسَم المشتمل على التربية والإقتدار بمالكية السموات والأرض.

---

[1] الحلية لأبي نعيم، و البيهقي في شعب الإيمان، و ابن عدي في الكامل، عن سيدنا أنس.

[2] كذا في الأصل ولعله أراد الحديث المروي في السنن بلفظ «أعوذ بك من الكفر و الفقر» كما يظهر من السياق والله أعلم.

وَدَوَاعِي النِّفَاقِ * وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ الْمَذْمُوْمَةَ وَمَدَانِيَ الْأَخْلاَقِ * حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيْرِهِ * وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِيْنَ اسْتَصْبَحُوْا بِنُوْرِهِ *

وَدَوَاعِي النِّفَاقِ بإبطان خلاف الظاهر من مراياة[1] المخلوقين، إستجلابًا للجاه والمال **وَجَنِّبْنَا بِهِ** باتباعنا لأمره ونهيه **الضَّرَائِبَ** الطبائع **الْمَذْمُوْمَةَ** من الحرص المشئوم والهلع والجزع والنظر إلى المخلوقين والإلتجاء إليهم ورؤية نفعهم وضرهم و إن كانوا وسائط، وأمرنا بشكرهم لحديث : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »[2]، لكن بشرط عدم الغفلة عن شكره سبحانه، فلولا قدرته وإرادته لما سخرهم إذ هم مجبورون ومقهورون على المنع والإعطاء **وَمَدَانِيَ الْأَخْلاَقِ** جميعها كالسؤال لغير حاجة بلاضرورة لأنها من السحت، والإلحاف فيه عند الحاجة إليه بشرطها، فلا تحل لغني ولاذي مرة أي قوة سوى **حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ** يدنسنا من الأخلاق المذمومة **بِتَطْهِيْرِهِ** فنأتي به إمتثالا لأمره.

وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِيْنَ اسْتَصْبَحُوْا استضاؤا **بِنُوْرِهِ** فأتمروا بأمره **وانتهَوْا** بنهيه ووقفوا عند حدوده وعظموا شعائره إذ قال سبحانه : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا...

---

[1] أو : مراءاة. (خ)

[2] رواه أحمد (٧٥٠٤) و الترمذي (٢٩٥٤) و أبو داود (٤٨١١) بإسناد صحيح.

وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَيَقْتَطِعَهُمْ بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ * يَاكَرِيْم اللّٰهُمَّ وَكَمَا أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتَابِكَ *

وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴾، وسمعوا قوله «سارعوا، وسابقوا، واستبقوا» فأخذوا في العمل. **وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ** المطغى إذ من طال أمله ساء عمله، وفي الحديث : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[١]، وكان ابن عمر الراوي لهذا الحديث يقول : «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء»، وقد بسط الكلام الإمام الغزالي في ذم الأمل في كتبه، وكذلك سيدنا الحبيب عبد الله الحداد فعليك بذلك.

فَيَقْتَطِعَهُمْ أن لهوا به **بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ** فيفاجئهم الأجل قبل وصول الأمل، لأن الأمل بعيد والأجل قريب، والعوارض العارضة قبل الأمل كثيرة، وقد قيل «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة»، وأنشدوا :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

---

[١] رواه البخاري (**٦٤١٥**) ، و كذا قول ابن عمر رضي الله عنه بعده.

وفي الحديث : «اغتنم خمسا قبل خمس هي الحياة قبل الموت، والصحة قبل المرض، والفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم»[1]، ولما التفت المؤلف إلى طلب الإعانة على التقوى بالسعة في العيش وكثرة ذلك يؤدي إلى نسيان الآخرة، والطبع مجبول على محبتها، والميل إليها بمجرده، فلذا تجد الحث على الآخرة كثيرا، والعاملين بذلك قليلا، ولا ترى الناس إلا مشتغلين بأسباب الدنيا مع الذم لذلك والتحذير منه، فخشي أن يكون من الأسباب الموقعة في الغفلة عن الله والدار الآخرة إذ هي الباقية، عاد منعطفا بقوله :

اللّٰهُمَّ وَكَمَا أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتَابِكَ كما ابتدأ بقوله : «اللهم أنك أحضرتنا ختم كتابك» وعبر هنا بالإكرام مبالغةً في تذكّر النعمة المتضمنة لكثير من النعم، إذ لا يحظى بها إلا الخواص من العباد.

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك وقال : «صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه» و أقره الذهبي.

وَنَدَبْتَنَا إِلَى التَّعَرُّضِ لِجَزِيْلِ ثَوَابِكَ * وَحَذَّرْتَنَا عَلَى لِسَانِ وَعِيْدِهِ أَلِيْمَ عَذَابِكَ * فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللهُ مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ فِيْ مَوَاطِنِ الْخَلَوَاتِ *

وَنَدَبْتَنَا دعوتنا بالحث **إِلَى التَّعَرُّضِ لِجَزِيْلِ ثَوَابِكَ** الذي من أحسن مواطنها إكرامنا بالختم فهو من النفحات المأمور بالتعرض لها، «أن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»[١]. ومنها إكثار تلاوة القرآن وتعظيمه وتعظيم تاليه وحضور ختمه والإجتماع له وغير ذلك مما دعوتنا وحثثنا عليه من الأفعال المقربة إليك بالقلب والقالب والنفس والمال فرضا واستحبابا

وَحَذَّرْتَنَا عَلَى لِسَانِ وَعِيْدِهِ أَلِيْمَ عَذَابِكَ من الآيات المخوفة، كقوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وغيرها من الآيات المجردة عن اقتراب الوعد، كقوله تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لأنها مختلطة بالوعد والوعيد، وأليم فعيل بمعنى فاعل، والعذاب النكال واشتقاقه من الماء العذب لأنه يقمع العطش لقمعه الراحة،

---

[١] ذكره في الإحياء، و قال العراقي : رواه الترمذي الحكيم في النوادر والطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مَسْلَمة، ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرح من حديث أبي هريرة، واختلف في إسناده انتهى.

فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللهُ مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ بأن يقوم به وينصح، كما في الحديث : «الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعآمتهم»[1].

فِيْ مَوَاطِنِ الْخَلَوَاتِ جمع خلوة ضد الجلوة التي هي حضور الناس وخَصَّ الخلوة لتعسُّر حسن الصحبة فيها إلا على أهل الخشية والمراقبة، فقد يُحمل على إحسان الصحبة معه في الجلوة الرياء والعجب، وقد عُدّ في السبعة الذين يظلهم الله بظله رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع، فمن استَوت صحبته للقرآن فى الخلوة والجلوة كان محسنا، إذ «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

---

[1] صحيح مسلم (٥٥) عن تميم الداري، قال الإمام النووي في شرح مسلم «هذا حديث عظيم الشأن و عليه مدار الإسلام».

[2] متفق عليه.

وَيُنَزِّهُ قَدْرَهُ عَنْ مَوَاقِفِ التُّهَمَاتِ * وَيُجِلُّ حُرْمَتَهُ عَنْ أَمَاكِنِ الْوُثُوْبِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ * حَتَّى يَكُوْنَ لَنَا فِي الدُّنْيَا

وَيُنَزِّهُ قَدْرَهُ ويعظمه **عَنْ مَوَاقِفِ التُّهَمَاتِ** بأن ينفي التوَهمات الباطلة بإدخال غيره فيه، كما في تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لتُرتَجى، فالنبي ﷺ منزَّه عن نطقه بذلك وقوله تعالى : ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ حملوه على سماع كلامه أي العدو، وعند تلاوة النبي ﷺ كما هو مبيَّن فى محاله، فنزهه عن مثل ذالك، و نزهه أيضا عن أن ترى مخالفا لأمره ومرتكبا لنهيه، إذ أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فإذا صرت بصفة غيرهم صرت غير منزه لقدره

وَيُجِلُّ حُرْمَتَهُ عَنْ إتيان **أَمَاكِنِ الْوُثُوْبِ عَلَيْهِ** بمخالفة أمره كحمله من غير طهارة، وقراءته مع الجنابة وغير ذالك **مِنَ** الوقوع في فعل **الْمُنْكَرَاتِ** وترك المأمورات

حَتَّى يَكُوْنَ لَنَا فِي الدُّنْيَا المشتقة من الدناه لخساستها و من الدنو لتقدمها على الآخرة، وإنما جُعلت إبتلاء لنا واختبارًا ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ وكفى في ذمها ما أتى في الكتاب العزيز من الآيات الكثيرة، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ إلى آخرها، وقوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ إلى آخر الآيات.

وقوله ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة »[1]، وفي الأثر : « يا طالب الدنيا لتُبِرَّ بها، تركك لها أبر وأبر» ، و ما أحسن ما قال سيدنا وشيخنا الحبيب عمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف نفع الله به و بعلومه و أسراره في بعض قصائده :

عجبا لدهر السوء مال بأهله * نحو الخيال وكل حال حائل

مالوا عن العليا وكل مزية * عظمى إلى الحصر المشوم السافل

ركنوا إلى دار الغرور وغرهم * فيها الغرور وقادهم بحبائل

فاستعذبوا فيها العذاب وأجمعوا * رأيا على الأمر الحقير الزائل

عظمت بأعينهم وها هي زبلة * من شومها قد ألقيت بالساحل

أي آخر أمرها الإعراض عنها وإلقاؤها طوعا أوكرها، هذا و قد جعلها الله لنا طريقا إلى الآخرة، فمن أخذ حظه منها زادا إلى المعاد كانت مزرعة لآخرته كما مرت الإشارة إليه أول الفصل الذي قبل هذا المشتمل على الدعاء بخير الدنيا والآخرة، فهي مقصودة لا بالذات بل لغيرها ولم يخرج أبونا آدم إليها إلا لتكميل فضائله،

---

[1] «لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لأحب أن يكون له واد ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب...» رواه البخاري ومسلم.

ولكن لما كانت محبتها غالبة على طبع الإنسان وكانت الحاجة إليها قريبة، عاجله والآخرة موعودة، آجله حببت العاجلة إلى الإنسان وإن كانت فانية، على الآخرة الآجلة وإن كانت باقية قال تعالى : ﴿يحبون العاجلة و يذرون الآخرة[1]﴾ ولكن ذووا الفطن والألباب عرفوا حقيقة الدارين فآثروا الباقية الموعودة على المنقودة المفقودة، وقالوا لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى، لكان الخزف الذي يبقى خيرا من الذهب الذى يفنى، وانشدوا :

إن لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا * إنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا

---

[1] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]

عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا * وَإِلَى النَّجَاةِ فِيْ غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ قَائِدًا * وَلَنَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيْلِ حَلاَلِكَ وَتَحْرِيْمِ حَرَامِكَ شَاهِدًا * وَبِنَا عَلَى خُلُوْدِ الْأَبَدِ فِيْ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَافِداً * يَاكَرِيْمُ

فكان لهم القرآن **عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا** حاميا وراعيا لمراعاتهم القيام بحقه

وَإِلَى النَّجَاةِ الفوز والسلامة **فِيْ غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ** في مواقفها الهائلة كالنشر والحشر والموقف والميزان والصراط **قَائِدًا** بأن تجري في الدنيا على ميزان الشرع فنسلك الصراط المستقيم ونكسي عند العرى ونظلل عند العرق ونسقي عند العطش وتثقل موازننا ونمر على الصراط كالبرق الخاطف وطرف العين بتوفيق الله بفضل الله وما ذلك على الله بعزيز.

وَلَنَا عندك إطلاعك على أعمالنا وعند ملائكتك الكرام الكاتبين **عِنْدَكَ بِتَحْلِيْلِ حَلاَلِكَ** فعلنا ما أحللته لنا معتقدين حله **وَتَحْرِيْمِ حَرَامِكَ** تركنا له معتقدين تحريمه **شَاهِدًا** لنا وعلينا فتدخلنا تحت كنفك ولا تفضحنا عند الملائكة باطلاعهم على سيئاتنا المنطوية عليها بواطننا مع سلوكنا على الظاهر المستقيم، وتوفينا حسناتنا وتتجاوز عن سيئاتنا.

وَ يكون **بِنَا عَلَى خُلُوْدِ الْأَبَدِ** البقاء الدائم **فِيْ جَنَّاتِ** جمع جنة وقد مر الكلام عليها **عَدْنٍ** الإقامة الدائمة في أعلا الفراديس مع الذين أنعمت عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن آولئك رفيقا، مجازاة منك وتفضلا علينا بقبول طاعتك إذ يقول : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ... ﴾الآيتين، **وَافِداً** موصلا لنا إلى المقصود فرحين مستبشرين مصحوبين بالإعزاز والإكرام منعمين بالنظر إلى وجهك الكريم.

ولما انعطف إلى هذا الفصل برجوعه إلى تذكر احضار الختم وإتيانه هنا بالتعبير بالإكرام به وعرض بذكر الدنيا التي هي دار الفناء، عقبه بهذا الفصل المذكِّر بالموت المفرِّق بين الأحباب المشتِّت بين الأتراب، فقال :

اللّٰهُمَّ وَسَهِّلْ بِهِ أي القرآن أي بسبب بركة الإنتفاء به **عَلٰى أَنْفُسِنَا** جمع نفس وهي الذات وتطلق على الروح والدم والجسم والقلب والعين، و قد نظمها بعض الفضلاء بقوله :

ياغزالا قد صاد بالحسن لبي	ورماني بالسهم أهلك نفسي
ياظريفا حويت قوسا ولحظاً	فوق خد بتلك ازحقت نفسي
ياكحيل العيون أرسلت سهما	قد أصاب الحشا فأحرق نفسي
لا تعذب من ارتضاك طبيباً	يا خليلي يهواك قلبي ونفسي
يا حبيبى وقيت من كل سوء	و حماك الحفيظ من كل نفس

عِنْدَ الْمَوْتِ الذي هو ضد الحياة ومباينها أو هو مخلوق على صورة كبش أملح لايمرُّ بحيٍّ إلا مات، والملك الموكَّل به عزرائيل، وله أعوان فإذا حضر الإنسان أجله تبدي له في صورة هائلة، فلذا دعا بأن يسهل عليه **كُرَبَ السِّيَاقِ** أي سياق الروح المنتزعة من الجسد المشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وقد

دعا النبي ﷺ بذلك فقال : « إن للموت لسكرات»[1] اللهم أعنا على سكرات الموت ، وهو الحق الذي لا شك فيه، واليقين الذي لا ريب فيه.

وقد جمع سيدنا الحبيب الحامد نفع الله به دعاء تذكيرا بالموت ودعاء بتسهيله، فينبغي الملازمة عليه أحببنا ذكره هنا وهو قوله : «اللهم اشرح صدري للإسلام، ووفقني وألهمني ويسر لي الإعتبار والإدكار والإكثار من ذكر هادم اللذات، ومشتت الجماعات وأعني عند نزوله على سكراته وغمراته ، وهونها علي وارزقني الثبات والإستعداد لهجومه، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ووالدي وأولادي وأحبابي والمسلمين وأنلنا وإياهم جميعا شفاعة نبيك محمد ﷺ رسول الرحمة، واسقنا (من) حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدا، وأعذنا وإياهم من دار غضبك و سخطك وعقوبتك ونارك، واجمعنا وإياهم جميعا في دار كرامتك ورضوانك وجوارك وجنتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن آولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما، بفضلك ومنك يآ أرحم الراحمين.

---

[1] قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «متفق عليه».

وَعَلَزَ الْأَنِيْنِ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوْحُ التَّرَاقِ ﴿

وَعَلَزَ شدة **الْأَنِيْنِ** الحادثة عن الهلع والجزع **إِذَا بَلَغَتِ الرُّوْحُ**، ولها معان وهي مسكوت عنها، لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾، وخاض فيها جماعة بما هو مذكور في محله.

وأشار السهْروردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الروح الحيواني يشترك فيه جميع الحيوانات حتى البهائم، لكن يتشرف روح الأدمي بمصاحبة القلب المختص به فيقارب الروح الروحاني وهي باقية لا تفنى أبدا فهي حادثة أبدية بخلاف الجسم إذ لا يبقى منه غير عجب الذنب الذى يتركب منه الإنسان بعد النفخة الثانية، وترد إليه الروح **التَّرَاقِ** وحذفت الياء كما في الفاصلة لضرورة السجع هنا وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر من يمين وشمال و أنشدوا :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى   إذا احشرجت يوما وضاق بها الصدر

و قد انشدت هذا البيت الصديقة عند احتضار أبيها رضي الله عنهما، فنهاها عن ذلك وأمرها بقوله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ الآية .

وَتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللهُ عَلٰى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوْبِ وَقِيْلَ مَنْ رَاقٍ * وَذَاقَ لَهَا مَرَارَةِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ * وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِسَهْمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ *

وَتَجَلَّى ظهر وعلا عليها **مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللهُ عَلٰى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْضِهَا** واسمه عزرائيل وهو من رؤساء الملائكة، ويجب الإيمان به و من سبَّه كفر، وكان يبدو للناس جهرة، ولهذا كانت له القصة مع موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وفقا[1] عينه ورد الله لها، ثم بعد ذلك تقدمتْ الموتَ الأمراضُ لطفًا من الله.

وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة، وخطوته ما بين المشرق والمغرب وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ينزعون روح الإنسان فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت وله حربة و ما من أهل بيت إلا و ملك الموت يتصفحهم، فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال الآن يزار بك عسكر الأموات

---

[1] لعله : وفقعُ عينه.(خ)

و تبدي لقبضها **مِنْ حُجُبِ** مستورات **الْغُيُوْبِ** جمع غيب ما غاب عنك وجمع الحجب والغيوب باعتبار التباعد والتباين و التضاد بين الحياة والموت والملك والآدمي، عالم الملك وعالم الملكوت وهذا كله مذكر بشدة الموت بمعالجة عزرائيل وأعوانه للروح بأسباب تفارق بها الجسد لا سيما قبضها من الثقرة التي لا يقدر عليها إلا عزرائيل **وَقِيْلَ مَنْ رَاقٍ** أي قال حاضروا المحتضر من يرقيه منكم، وقيل : قال ملائكة الرحمة وملائكة العذاب بعضهم لبعض أيكم يرقى به

وَذَافَ سحق و خلط بماء أو غيره **لَهَا** أي للروح من ذعاف أشد السموم المسرع لإزهاقها يقال : موت ذعاف أى مجهز مسرع وحية ذعف اللعاب سريعة القتل وأذعفه قتله سريعا **مَرَارَةِ الْمَوْتِ كَأْساً** مهموزة مؤنثة اسم للإناء الذى يشرب فيه أو ما دام فيه الشرب، والمراد هنا نفس المشروب كجري النهر سقاه إياها من الذعاف الممزوج فصارت **مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ** الذوق.

وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ معروف **الْمَنَايَا** جمع منية جمعها باعتبار جميع الأموات إذ هي قوس واحدة **بِسَهْمِ** أفرده باعتبار كل مرمى بذاته **وَحْشَةِ الْفِرَاقِ** تبدي الملك ورميه لها بالحربة وقوله : «ألآن يزار بك عسكر الأموات» وأي وحشة هذه.

وَدَنَا مِنَّا الرَّحِيْلُ إِلَى الْآخِرَةِ وَصَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِيْ الأَعْنَاقِ* وَكَانَتِ الْقُبُوْرُ هِيَ الْمَأْوَى

وَدَنَا قرب **مِنَّا الرَّحِيْلُ إِلَى الْآخِرَةِ** التي لا يدرك فيها عمل بعد أن كان متيسرا في الدنيا فيود الإنسان أن يؤخر أجله فيعمل فلا يجاب **وَصَارَتِ الْأَعْمَالُ** صالحة أو غير صالحة **قَلَائِدَ** يزين بها السعداء و أطواقا يشين بها الأشقياء **فِيْ الأَعْنَاقِ** فاذكر قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ .**وَكَانَتِ الْقُبُوْرُ** الدائرة **هِيَ الْمَأْوَى** موضع الإستقرار، منعمة أو معذبة، ولا أنيس فيها ولا جليس إلا الأعمال تتصور بصور مؤنسة لأهل الأعمال الصالحة، وموحشة لأهل الأعمال السيئة. وأول فتنة سؤال الملكين، وبعدها الثبات للمؤمنين، والضلال للظالمين، والضغطة التي لا ينجو منها أحد، وبعدها إما منعم أو معذب، وهو وإن بليت الأجساد فلها وجود برزخي تتأثر بالأكدار وتتنعم بالأسرار، ويعذب أوينعم الروح والجسد معا، فالإتصال البرزخي حاصل للجسم والروح، فسبحان القادر على ما يشاء، اللهم ثبتنا بالقول الثابت، ولهذا استحب التلقين للبالغ والوقوف عند القبر مقدار ما تنخر جزور والدعاء له بالثبات. **إِلَى مِيْقَاتِ** وقت **يَوْمِ التَّلَاقِ**، بالقمة إذ تتلاقي الخصوم أو الظالم والمظلوم أو العابد والمعبود أو المرء مع عمله.

ولما انتهى إلى هنا وتحصل، إذ كل مقبور حال متوطن دار البلاء، قال : **اللّٰهُمَّ وَبَارِكْ لَنَا** في الموت أي عنده بإتيان الملائكة بالبشارة من رحمة الله ورضوانه، وبالجنة وبالإيناس في القبور، وبأخذ الكتب بالأيمان لندخل في دائرة المبشرين في قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ الآية... وقوله : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية... وفيما بعد الموت بالأجر على ذوق الموت، الذي هو أمرُّ الأشياء بتنمية الأعمال التي لا تنقطع بالموت، لقوله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعوله»[1].

وقد بلغه بعضهم هو العلامة الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله إلى عشر خصال فقال :

اذا مات ابن آدم ليس يجري * عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل * وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر * وحفر البير أو أجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي * إليه أو بناء محل ذكر

[1] رواه مسلم (١٦٣١) وغيره عن أبي هريرة.

وفي الحديث : «من سن سنة حسنة فله أجره وأجر من عمل بها»[1]، «ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه»[2]، فهذه بركات كثيرة ورد بها الشرع، وكذلك في قوله ﷺ : «مات» إلى آخره دليل على أن العمل ينقطع لا المدد و الفضل والرحمة من الله تعالى، بل قوله تعالى : ﴿ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ دليل على ذلك إذ الشهادة كثيرة، والصديقية أفضل من الشهادة المجردة، ومداد العلماء أفضل من دم الشهداء، ودليل استمداد الزائر من المزور، إذا كان الميت الممد دليل على تواتر فضل الله عليه، قال الشيخ ابن حجر في التحفة : «ولا ينكر ذلك إلا المحرومون»[3].

وقال بعض السلف : «أنه أي الموت الولادة الكبرى لقوة الروح فيستمد من تلقى الفيوض والرحمات النازلة من الله أكثر مما يتلقى مع اتصاله بالجسم لضعفه بمجاورته.»

---

[1] صحيح مسلم (١٠١٧)وغيره.

[2] صحيح مسلم (٢٦٧٤) وغيره.

[3] «وَأَيْضًا فَزُوَّارُهُمْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَدَدٌ أُخْرَوِيٌّ لَا يُنْكِرُهُ إلَّا الْمَحْرُومُونَ» التحفة ١\٢٨٦.

فِيْ حُلُوْلِ دَارِ الْبِلاَ * وَطُوْلِ الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى * وَاجْعَلِ الْقُبُوْرَ بَعَدْ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا * وَافْسَحْ لَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ ضِيْقَ مَدَاخِلِنَا *

فِيْ حُلُوْلِ نزول **دَارِ الْبِلاَ** البرزخ أو القبر الذي يبلى الجسم فيه إلا عجب الذنب **وَطُوْلِ الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى** التراب الندى أو الذي إذا بل ولم يصر طينا وفي الغالب يوجد القبر نديا، ولذلك سن رشُّ أعلاه ولا يصير كله طينا.

وَاجْعَلِ الْقُبُوْرَ ما يبلى فيه الجسم من حفرة أو غيرها **بَعَدْ فِرَاقِ الدُّنْيَا** وإن كان قبل قيام الساعة، إذ القبر أول مَنْزِل من منازل الآخرة، وأول اليوم الآخر إذ الموت القيامة الصغرى، وقد شرحها في الإحياء في كتاب الموت، **خَيْرَ مَنَازِلِنَا** جمع منزل ما ينزله الإنسان و يستقر فيه وخيريته بحصول البركة المذكورة والأنس بثمرات الأعمال الصالحة والفرح للدخول الجنة برؤية مقعده منها .

وَافْسَحْ وسع **لَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ** ببركته **ضِيْقَ مَدَاخِلِنَا** أي مداخلنا الضيقة في القبر لضيق اللحد ووضع المدر، وحشو التراب ومعاينة الملكين، وضمة القبر الذي لا ينجو منها أحد بما تسعف به قدرتك، وسعه منك بما لا يخطر على قلب بشر، ولا يسعه عقل عاقل، فأمور الآخرة يضيق عنها نطاق العقل.

وَلاَ تَفْضَحْنَا يَامَوْلاَنَا فِيْ حَاضِرِ الْقِيَامَةِ بِمُوْبِقَاتِ الْآثَامِ * وَاعْفُ عَنَّا مَا ارْتَكَبْنَا مِنَ الْحَرَامِ «ثلاثًا *»

وَلاَ تَفْضَحْنَا كثف سترنا بإظهار مساوينا الظاهرة على الملائكة والباطنة المعلومة لديك **يَامَوْلاَنَا** مالكنا **فِيْ حَاضِرِ** موقف **الْقِيَامَةِ** من ملك وإنس **بِ**سبب **مُوْبِقَاتِ** كبائر **الْآثَامِ** بأن تغفرها لنا وتعفو عنا فقد وعدتنا بذلك فضلا وإحسانا منك، ولا ينقص فضلك أجرا منا، وما أحسن ما قيل :

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت * إن الكبائر في الغفران كاللمم
لعل رحمة ربى حين يقسمها * تأتي على حسب العصيان فى القسم

بأن توفقنا للتوبة قبل الممات، و تدارك الهفوات قبل الفوات

وَاعْفُ عَنَّا امح واستر ما جنيناه، فلا تعاقبنا على جميع **مَا ارْتَكَبْنَا مِنَ الْحَرَامِ** أي المحرم علينا فى شرعك تفضلا ومَنًّا، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة، فقد وعَّدتنا بالغفران في قولك : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾. ووفقنا بعد ذلك بالإنابة والرجوع إليك فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، كما قال ﷺ [١].

---

[١] رواه الترمذي (**٢٤٩٩**)

وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ فِيْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا * وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُوْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَّةَ اَقْدَامِنَا * وَنَجِّنَا بِهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّآمَّةِ * وَبَيِّض بِهِ وُجُوْهَنَا «ثلاثًا

وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ الذي ألهمتنا معرفته وقراءته وسهلت علينا تلاوته **فِيْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ** مجمع الناس في المحشر، وحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ولا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، **ذُلَّ مَقَامِنَا** في ذلك اليوم بأن تجعله شفيعا لنا وسببا لإدراكنا لشفاعة رسولك الموعود بالمقام المحمود، ودُخولنا في أمته المرحومة التي هي خير الأمم **وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُوْرِ جَهَنَّمَ** جمعها باعتبار طول المسافة و تغاير شدتها و رخاوتها بتغير الأعمال، إذ سلو الصراط مثال لسلوك الصراط المستقيم، اللهم ثبتنا على صراطك المستقيم فى الدنيا بتوفيقك للأعمال الصالحة، ومنك بالقبول لها وتجاوزك عن سيئاتنا، وإقالة عثراتنا، لنثبت على جسور جهنم **يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا** إلى جنتك **زَلَّةَ اَقْدَامِنَا** ، فننجو من النار ولهبها وكلاليبها وخدشتها وخشها، **وَنَجِّنَا بِهِ** أيضا **مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** كلها من البعث والحشر والنشر وهول الموقف وحضور الميزان وسلوك الصراط، **وَ** من **وَشَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّآمَّةِ** من أسماء القيامة **وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوْهَنَا** يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه حيث نعطى كتبنا بأيماننا يوم يعطون العصاة كتبهم بشمائلهم.

إذَا اسْوَدَّتْ وُجُوْهُ الْعُصَاةِ فِيْ مَوْقِفِ الْحَسْرَةِ على ترك الأعمال الصالحة، وعلى اجتراح السيئات وعدم التوبة **وَالنَّدَامَةِ** حيث لا تنفع الندامة، واسقنا من حوض نبيك محمد ﷺ الذي من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فهو قبل دخول الجنة وبعد المجاز على الصراط أو قبله على خلاف، وأهل الجنة لا يَظْمَأُونَ بعد شربهم من الحوض، فشربهم في الجنة للتلذذ لا للظمأ.

واعلم أن الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أحدُّ من السيف أو الموسى، وأدقُّ من الشعر، و يتفاوت الناس فى مرورهم على قدر تفاوتهم في الأعمال، فأعلاهم كطرف العين ثم كالبرق الخاطف ثم ثُمَّ كَجَاوِيدِ الْخَيْلِ ، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، فمخدوش ناج، ومكدوش فى النار.

ولما انتهى إلى هذا الفصل المجرد فيه الدعاء بصلاح أحوال القبر و البرزخ وصلاح يوم العرض على الله والثبات على الصراط المستقيم، وكله يسير في جانب رحمة الله، ولو بغير سابقة عمل، كما وقع لكثير ممن لطف الله به من عباده المحبوبين السعداء بمجرد فضله، كسحرة فرعون الذين آمنوا و دخلوا الجنة بغير عمل غلب عليه الرجاء حينئذ، وحيث تحقق له الرجاء لم يأمن المكر.

فلاحظ هنا الخوف، فلهذا قيل : «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» ففر إلى الله من مَكْرِه، كما وقع للممكور بهم ممن كتب الله عليهم الشقاوة ولم يسعدوا بأعمالهم كما وقع لبرصيص والعياذ بالله.

فالقسم الأول : خلقوا لجنته دون خدمته، وقسم الثاني خلقوالخدمته لالجنته، وبقي قسم لا خلقوا لجنته ولالخدمته وهم الكافرون، وبقي القسم الأفضل الذين شرفهم الله في الدنيا بخدمته واختصهم في الآخرة لجنته وهم السالكون على منهج شريعته، و الفائزون بالدرجات العلى بسبب أعمالهم الصالحة في جنته وهم أولوا الصراط المستقيم، فعرفك سلوك طريقهم وأرشدك إلى الدعاء بطلب الإندراج في سلك فريقهم، فقال :

اللّٰهُمَّ وَأَطِلْ بِهِ صَلاَحَ ظَاهِرِنَا ❋

اللّٰهُمَّ وَأَطِلْ أدم **بِهِ صَلاَحَ ظَاهِرِنَا** ، الصلاح هو وصف الصالحين وهم القائمون بحقوق الله، وحقوق الخلق، والظاهر ضد الباطن كالعلانية والسر، و المطلوب من العبد إصلاح ظاهره و باطنه، ولذا قيل «اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة»، والظاهر عُنوان الباطن كما في الحديث : «لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه»، (فقوله: أطل به صلاح ظاهرنا) طلب لثبات أقدامه على التقوى، التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فهذه تقوى ظاهرة تمضي عليها الأحكام الظاهرة، ولو كان مخفيا للكفر والعياذ بالله بقلبه، ولكن لا ينفعه في الآخرة إلا إن ارتبط به صلاحُ الباطن، ولكن تيسير العمل لليسرى بشرى بالقبول في الآخرة، فعلى الإنسان القيام بالأعمال الظاهرة، والمجاهدة بإصلاح الباطن كما قيل «استغفارنا يحتاج إلى استغفار».

فمعالجة الباطن واجبة على من لم يُرزق قلبا سليما، كما أن عمارته بفعل الواجبات وترك المحرمات واجبة، وأحسن ما يتقرب به المتقربون إلى الله أداء الفرائض، كا فى الحديث : «أرايت إذا صليت المكتوبات، و صمت رمضان» إلى آخره. نعم، القيام بها ثم بالإكثار من النوافل يوجب محبة الله للعبد التي هي ولايته، بأن يكون

سمعه وبصره ويده ومؤيده لقوله : «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[1]، والفرائض والنوافل المشروعة مشروحة في محالها، فلتطلب منها.

ويعض السالك بالنواجذ على المسابقة والمسارعة إلى ذلك، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾

نعم، بعض الصوفية أولوا الأعمال القلوب قد يخرب بعضهم الظواهر مع إصلاح الباطن، ولا يبالي بالخلق ووقوفهم على غير صلاح الظاهرية، و هم من فرق الصوفية كالملامتية والقلندرية متطلبين للإخلاص ولمراعاة طيبة قلوبهم، وأولوا الكمال منهم الذين يراعون إصلاح الظواهر والبواطن، ويضعون الأمور مواضعها.

---

[1] سبق تخريجه ص **٥٤**.

وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا ❋

وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ جمع خطرة كالخواطر جمع خاطر، ومعرفتها من أوصاف القلوب، وميزانها بقانون الشرع، ولا يخفى على الموفقين **الْوَسَاوِسِ** جمع وسوسة وهي الصوت الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع، **عَنْ صِحَّةِ** استقامة **ضَمَائِرِنَا** ما تضمره قلوبنا وأسرارنا من الثبات على للوقوف على حدود الله، الذي هو إرغام الشيطان.

ومن أقوى حجبه ذكر الله تعالى، فالشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنَّس، وإذا غفل وَسْوَس، وعباد الله المستيقظون الآخذون حذرهم منه بمعرفة ما يلقيه، ويميزه عما يلقيه الملك ليس له عليهم سلطان، وهم أولياؤه الذين ثبت إيمانهم، وصفت قلوبهم، وقلعت عروق الشيطان الموصل الوساوس إلى قلوبهم، أشار إلى ذلك في العوارف.

وفي (قوله : أطل به صلاح ظاهرنا) ثم (قوله : واحجب) إيماء إلى أن ملازمة الطاعات مؤثرة فى صفاء القلب وابيضاضه، وإن المعاصي بضد ذلك يظلم بها القلب ويسود ويطبع عليه، وفي الحديث : «إن الإيمان يبدو لمعةً بيضاء، وإذا أذنب العبد نُكِت في قلبه بنكتة سوداء، فإن تاب صقل قلبه، وان لم يتب زاد ذلك...

وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوْبِنَا وَمُوْبِقَاتِ جَرَائِرِنَا * وَانْفِ بِهِ وَحَرَ الشُّكُوْكِ عَنْ صِدْقِ سَرَائِرِنَا * وَاجْمَعْ بِهِ مُتَنَائِيَاتِ أُمُوْرِنَا *

حتى يسود قلبه»[1] فذلك الران الذي قال الله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.**وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوْبِنَا** الحاصل من دنس المخالفات وموبقات مهلكات **جَرَائِرِنَا** جمع جريرة وهي الذنب والجناية مأخوذ من الجر بالتوفيق للتوبة الماحية، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ ، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ، و ما أحسن ما قال البوصيري :

راجيا أن تعود أعماله السوء   بغفران الله وهي هباء

أو ترى سيئاته حسنات   فيقال استحالت الصهباء

وَانْفِ اذهب **بِهِ وَحَرَ** ما يثبت فى القلوب من الغش والغيظ والحقد بسبب **الشُّكُوْكِ** جمع شَكٍّ هي التردد باستواء أو مطلقة الحاصلة من أدخنة وساوس الشيطان، كما في الحديث : «يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا حتى يقول من خلق الله؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله» ولْيَنْتَهِ **عَنْ صِدْقِ** الإيمان الثابت في **سَرَائِرِنَا** جمع سريرة، والسر

---

[1] المصنف لابن أبي شيبة عن علي عليه السلام قوله.

داخل القلب قال الله : ﴿ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾، ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾، ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾.

وَاجْمَعْ بِهِ مُتَنَائِيَاتِ متباعدات **أُمُوْرِنَا** ما أمرتنا به بتسهيلها علينا وإن كثرت بتجدد عزائم التقوى، فكلما كثرت المعارف كثرت المأمورات، فحَسناتُ الأبرار سيئات المقربين، ويحتمل شؤُوننا وأحوالنا الظاهرة و الباطنة، المعاشية والمعادية هي من أسباب تيسير الإتيان بالمأمورات، وتنائى الأمور وتباعدها ينشأ عن عُلُوِّ الهمة في طلب المعالي كما قيل:

وقائلة لم عليه الهموم وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت ذريني على حالتي فإن الهموم بقدر الهِمم

فصاحب الهمة القاصرة يرى الأمور كلها قريبة، فيقيل همه و يضعف عزمه، ولا يرى بتباعد أموره وتمضي أوقاته مهملة سدى، كإهمال البهائم التي لم يجعل الله لها فَهْمًا، ولم يكلفها حكما، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ غفلوا عما أريد بهم من المسابقة والمسارعة وما أحسن ماقيل :

وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى وإياك عل فهي أخطر علـة

وجد بسيف العزم سوف فإن تجد   تجد نفسا فالنفس إن جدت جدت

فإذا صدق العزم في الجد على الدائم الباقي حصلت المعونة يشير إليه الحديث «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله شمله، وجعل فقرة بين عينيه ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه»[1]، فتتقارب الأمور المتباعدة وينصر جند الرحمن على جند الشيطان، وتصير النفس الأمارة لوامة مطمئنة، فحينئذ يصير المتنائي متقاربا.

---

[1] رواه الترمذي (٢٤٦٥) بإسناد صحيح ولفظه عنده « من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ»

وَاشْرَحْ بِهِ صُدُوْرَنَا وَاكْسُنَا بِهِ حُلَلَ الْأَمَانِ فِيْ نُشُوْرِنَا * وَأَظِلْ بِهِ فِيْ مَوْقِفِ السَّاعَةِ جَذَلَنَا وَسُرُوْرَنَا * يَا كَرِيْمُ

وَاشْرَحْ وسع **بِهِ صُدُوْرَنَا** الشاملة للقلوب والنفوس والأرواح والسرائر، بأن تطهرها من الوساوس وتوسعها لقبول الأمر، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا. ﴾

قال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفلح، قيل فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزوله»[١]، وبالإنشراح والإنفساح تظهر البهجة في وجوه أهله، ويصير الغيب كأنه شهادة.

وَاكْسُنَا بِهِ حُلَلَ الْأَمَانِ فِيْ نُشُوْرِنَا بأن توفقنا للعمل بما فيه، فنكسي الحلل بسبب ذلك، لقوله ﷺ: «من قراء القرآن وعمل بما فيه أُلبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا»[٢]، فما ظنكم بالذي عمل بهذا، وفي رواية «ويكسى والداه حلة لا تقوم لها الدنيا وما فيها».

---

[١] رواه ابن المبارك في الزهد، ورواه البيهقي في القضاء والقدر.

[٢] رواه الحاكم وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

وَأَطِلْ مُد **بِهِ** أي ببركته **فِيْ مَوْقِفِ السَّاَعَةِ** الطويل على الكفار، ويصير كصلاة مكتوبة على المؤمنين، **جَذَلَنَا** ثبات ورسوخ واستقرار ما به الإنتفاع لنا أو منا، **وَسُرُوْرَنَا** فرح قلوبنا ببشارتنا بما أعددت لنا في الجنة، وتوالى تجلياتك علينا بالإنعام والإفضال، فتنتشر إلى أسارير الوجه و هو عروقه فيظهر السرور، فالسرور ثمرة فرح القلب وابتهاجه بما نشاهد من نعيم المشاهدة وهى نضارة الوجه.

ولما انتهى إلى هذا الفصل الذي هو صلاح الظاهر و مابعده، وكان ابن آدم معرضا للوقوع فى الذنوب والأوزار الباطنة والظاهرة ليرجع إلى ربه بالتوبة والإستغفار، المشار إليه قوله ﷺ : «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[١]، ومن أفضل الإستغفار التوسل بالقرآن.

---

[١] رواه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال : **اللَّهُمَّ وَاحْطُطْ** فعل دعاء مفكوك من حط، أزل والقى **بِهِ عَنَّا** باتباع ما أمرتنا، واجتناب ما نهيتنا، أو بسبب ثواب تلاوته التي وعدتنا بالجزاء عليها بكل حرف عشر حسنات، إذا[1] كان بلا طهارة في غير صلاة إلى ما شئت من المضاعفة، **ثِقَلَ** حمل **الْأَوْزَارِ** المكتسبة لنا، المترتب عليها العقاب بشريعتك فقد وعدتنا على ذلك المغفرة لجميع ما اكتسبناه ولو لم نعمل شيئا، إذ وفقتنا بإرادتك لتوحيدك فقلتَ على لسان نبيك : «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

وَهَبْ لَنَا بِهِ أنعم علينا ببركته أن تحلينا **حُسْنَ** جميل ومحمود وفي نسخة وارزقنا به حسن **شَمَائِلِ** جمع شمال وهي الطبيعة **الْأَبْرَارِ** جمع بار بفتح الباء : كثير البر والصادق، والبر ضد العقوق أو الإتصاف بأوصافه، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

[1] لعله : ولو . (خ)

[2] أخرجه الترمذي (**٣٥٤٠**) واللفظ له، وأحمد (**٢١٣١٦**).

وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وهي جمع أوصاف المتقين، فارجع إلى ما قاله فيها أولوا التفسير، واستخرج ما فيها من التحبير والتذكير.

وَاقْفُ بِنَا آثَارَ الَّذِيْنَ قَامُوْا لَكَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ * حَتَّى تُوْجِبَ لَنَا بِهِ فَوَائِدَ غُفْرَانِكَ*

وَاقْفُ اتبع **بِنَا آثَارَ** جمع أثر **الَّذِيْنَ قَامُوْا لَكَ بِهِ** أي اسْلك بنا طريق الذين قاموا لك به **آنَاءَ** جمع إنى بالكسر ساعات **اللَّيْلِ** كلها إن أريد به القيام المسنون، فقد أقامه كله كثير من أو لياء الله وإن أريد القيام المفروض فهو صلاة المغرب والعشاء

وَأَطْرَافَ النَّهَارِ جميعه المشتمل على الوسط إن أريد به القيام المسنون، و أول هذا ما بعد الفجر وطلوع الشمس وآخره ما بعد صلاة العصر إلى الغروب، فهما وقتان شريفان، ولا يخفى ما ورد في فضل الإشتغال بالذكر والإستغفار فيهما، وإن أريد القيام المفروض فهو صلاة الظهر لأنه آخر الطرف الأول وأول الطرف الآخر، وأقل قيام الليل على السالك المتعبِّد، إحياء ما بين العشائين والقيام برواتب المغرب والعشاء وصلاة الوتركلها إحدى عشر، فإن أتى بها أول الليل أخذ بالجزم، أو أخرها إلى أخر الليل أخذا بالقوة، وأقل استيقاظه قبل الفجر، فللعابدين في ذلك روايات وأخبار لاينبغي أن يغفل عنها، ولو لم يكن في فضل قيام الليل إلا قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فلذا قال :

حَتَّى تُوْجِبَ بفضلك **لَنَا بِهِ** باتباع ما أمرتنا فيه واجتناب ما نهيتنا عنه، وقد نزل في ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾، لأن الحسنات الصلوات الخمس مكفرات للصغائر، وفي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ إشارة إلى تكفير الكبائر بالتوبة، لأن الصلاة تذكِّره التوبة، وتنهى عن الفحشاء والمنكر كما في الآية الأخرى، وفي الحديث «الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر»[1] أي أو هدمت بالتوبة، فكأنها اجتنبت كما فى الحديث : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[2] **فَوَائِدَ** جمع فائدة ما يستفاد من كل شيء من المنافع الدينية والدنيوية ويكون الحال أصلح به من غيره، **غُفْرَانِكَ** سترك للمعاصى من غير سابقة عذاب ولا عتاب وإبدالك سيئاتنا حسنات، وإفضالك علينا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

[1] صحيح مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة.

[2] ابن ماجة (٤٢٥٠)، والطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبيهقي في السنن.

وَتُحَفَ بَوَادِيَ إِحْسَانِكَ * وَمَوَاهِبَ صَفْحِكَ وَمَغْفِرَتِكَ وَرِضْوَانِكَ * يَا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ وَأَوْسَعَ مَنْ جَادَ بِالْعَطَايَا «ثلاثاً *طَهِّرْنَا بِكِتَابِكَ الْعَزِيْزِ مِنْ دَنَسِ الْخَطَايَا *

وَتُحَفَ جمع تحفة بالضم أو بضم ففتح، الطرفة أو ما يتحف **بَوَادِيَ** ظواهر **إِحْسَانِكَ** إنعامك وإفضالك علينا الذي أجلها إتحافنا بالنظر إلى وجهك الكريم، بل هو زيادة الإحسان لقولك ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾، وفسرت الزيادة بالنظر إلى وجهك الكريم.

وَمَوَاهِبَ جمع موهبة العطاء بغير عوض، إذ إفضاله الذي في مقابلة الأعمال إنما هو منة وفضل منه، فكيف بالذي يمن به من غير وعد ولا سابقة عمل، **صَفْحِكَ** هو الإعراض عن الجاني وترك التثريب من لوى صفحة عنقه، اللهم ادخلنا فى رحمتك وفضلك ولا تعاملنا **بِعَدْلِكَ، وَمَغْفِرَتِكَ** الشاملة لرضاك المتكفلة بإفضالك وإنعامك، **وَرِضْوَانِكَ**

يَا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ وَأَوْسَعَ مَنْ جَادَ بِالْعَطَايَا الجسام ومن بالمواهب العظام، يا من لا يضجره كثرة السائلين ولا يغضبه إلحاح الملحين مفرد :

الله يغضب أن تركت سؤاله   و بني آدم حين يسأل يغضب

إن الله يحب الملمين في الدعاء، **طَهِّرْنَا** بالنظافة السابعة المعنوية **بِكِتَابِكَ الْعَزِيْزِ** الحاصل بمجرد تلاوته الثواب العظيم، فكيف إذا سلك به الصراط المستقيم، ووصف الكتاب بالكريم للتعظيم والنزاهة، ووصفه سبحانه وتعالى (بقوله : يا أكرم من سئل) يحتمل لذلك أيضا من حيث إن وصف غيره بالكرم مع وصفه بذلك ينزهه عن المشابهة في ذلك، ويحتمل بإفاضة العطايا والصفح عن الجاني، وبذل النوال قبل السؤال **مِنْ دَنَسٍ** أوساخ و أرجاس و أنجاس **الْخَطَايَا** جمع خطيئة الذنب أو ما تعمدته.

وَهَبْ لَنَا الصَّبْرَ الْجَمِيْلَ عِنْدَ حُلُوْلِ الرَّزَايَا * وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْإِسْتِعْدَادِ عِنْدَ حُلُوْلِ الْمَنَايَا * وَعَافِنَا مِنْ مَكْرُوْهِ مَايَقَعُ مِنْ مَحْذُوْرِ الْبَلَايَا * يَاكَرِيْمُ

وَهَبْ لَنَا الصَّبْرَ الْجَمِيْلَ الذى هو حبس النفس على ما تكره من غير تعبيس ومع التعبيس هو تصبر أي تفعل الصبر، وباعتياد ذلك وتفعله يبلغ إلى مقام الصبر و بعده إلى مقام الرضى الذى هو استحلاء مر القضاء وهو مقام، ويمكن أن يستلزم المحبة أذ ما يفعل المحبوب محبوب، فهب لنا الرضى والتسليم **عِنْدَ حُلُوْلِ** نزول **الرَّزَايَا** جمع رزية، **وَامْنُنْ** افض **عَلَيْنَا بِ**فضلك أسباب القدرة على **الْإِسْتِعْدَادِ** للموت قبل نزوله بشرح الصدر الذى هو علامة دخول النور في القلب فيظهر بسبب ذلك الإبتهاج والفرح بما منّ الله **عِنْدَ نُزُوْلِ الْمَنَايَا**، وهي البشرى المذكورة في قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. إن المؤمن يبشر عند الموت فيحب لقاء الله، فيحب الله لقاءه، كما اشار اليه الحديث، **وَعَافِنَا** دافع عنا المكاره و البلايا، وهب لنا العافية منها، **مِنْ مَكْرُوْهِ مَايَقَعُ مِنْ مَحْذُوْرِ** محشى **الْبَلَايَا** المشاق والمحن.

ولما انتهى إلى ذكر كرم الله وفضله انفتح له باب المناجاة فأتى بهذا الفصل، فقال يا كريم أي يا من لا يطلق عليه اسم الكرم إلا عليه فهو بمعنى يا أكرم من سئل، إذ لا يصف معه بالكرم كريم، فيحتاج إلى فعل تفضيل.

أَتُرَاكَ تَغُلُّ إِلَى الْأَعْنَاقِ أَكُفًّا تَضَرَّعَتْ إِلَيْكَ * وَاعْتَمَدَتْ فِيْ صَلاَتِهَا رَاكِعَةً وَسَاجِدَةً بَيْنَ يَدَيْكَ * أَوْ تُقَيِّدُ بِأَنْكَالِ الْجَحِيْمِ أَقْدَاماً سَعَتْ إِلَيْكَ * وَخَرَجَتْ مِنْ مَنَازِلِهَا لاَ حَاجَةَ لَهَا إِلاَّ الطَّمَعُ وَالرَّغْبَةُ فِيْمَا لَدَيْكَ *

أَتُرَاكَ أيظن ظان بمعنى لا يظن ظان، إنك مع كرمك الذي هو بذل النوال قبل السؤال وابتداؤك بالجود والإفضال واستجابتك لمن دعاك وتجاوزك وعفوك عمن عصاك، و تقربك لمن تقرب إليك، وكفايتك لمن توكل عليك، إنك تحب مَن أمَّلك أو تردُّ مسالة مَن سَألك، فكيف يظن ظان أنك **تَغُلُّ** تضبط بالغل **إِلَى الْأَعْنَاقِ** جمع عنق **أَكُفًّا** جمع كف اليد كلها أو إلى الكوع، **تَضَرَّعَتْ إِلَيْكَ** بأن تخيبها فتردها خائبة، ويدها صفراء والتضرع والتذلل والإبتهال والتعرض بطلب الحاجة، بل الظن بك أن لا تخيب راجيك، ولا ترد سائلك وأنت مجيب السائلين، وانشدوا

لبست ثوب الرجا والناس قدر قدوا	وبت أشكو إلى مولا ما أجد
وقلت يا أملي في كل نائبة	ومن عليه لكشف الضر أعتماد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها	مالي على حملها صبر ولا جلد
و قد مددت يدي بالذل مبتهلا	إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروي كل من يرد

وَاعْتَمَدَتْ أي الأيد أو الأكف المذكورة **فِيْ صَلاَتِهَا** المفروضة عليها على لسان أفضل الشفعاء وأكرم الأكرمين عليك، مطيعة أمره حال كونها **رَاكِعَةً** في صلاتها بوضعهما على الركبتين **وَسَاجِدَةً بَيْنَ يَدَيْكَ** بوضعهما حذوالمنكبين إتباعا ورغبة في الثواب، وذكره لذلك وتعظيمه لذلك إظهار للفرح بتوفيق الله له لذلك ومنِّه به عليه لا عجبا و افتخارا، والركوع والسجود الخضوع والتذلل المصدق للعبودية المستهدف لإستجلاب الدعاء

أَوْ يظن إنك **تُقَيِّدُ بِأَنْكَالِ** جمع نكل بالكسر وهو القيد الشديد أو من نار **الْجَحِيْمِ** النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض، وهي من أسماء جهنم **أَقْدَاماً** جمع قدم **سَعَتْ** عملت و قصدت ومشيت **إِلَيْكَ وَخَرَجَتْ** كذلك **مِنْ مَنَازِلِهَا** الأماكن النازلة فيها لإجابة دعوتك للصلوات وسبل الخيرات كالجمعات والجماعات، وقصد المواقف المشاع المعلومات متجردة لذلك، **لاَ حَاجَةَ لَهَا إِلاَّ الطَّمَعُ وَالرَّغْبَةُ** حسن الظن وصدق الرجاء **فِيْمَا لَدَيْكَ** عندك من المثوبات والمجازاة بحكم الفضل وصدق الوعد وما عهد منك من تعويد الجميل الحسن و إسداء النعم والمنن.

مَنًّا مِنْكَ عَلَيْهَا يَا سَيِّدِيْ لاَ مَنًّا مِنْهَا عَلَيْكَ * بَلْ لَيْتَ شِعْرِيْ أَتُرَاكَ تُصِمُّ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِحَلاَوَةِ تِلاَوَةِ كِتَابِكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ أَنْزَلْتَهُ * أَوْ تَطْمِسُ بِالْعَمَى فِيْ ظُلَمِ مَهَاوِيْهَا أَبْصَارًا بَكَتْ إِلَيْكَ * خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَفَزَعًا مِنَ الْحِسَابِ * أَمَا وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ مَا أَصْغَتِ الْأَسْمَاعُ حَتَّى صَدَّقَتْ *

مَنًّا مِنْكَ عَلَيْهَا يَا سَيِّدِيْ بتوفيقك لها و لطفك بها وإرادتك الخير لها فما أوجبت عليها الافضلك وعطاك **لاَ مَنًّا مِنْهَا عَلَيْكَ** لأنك أنت المقدر والخالق هذا حكم ظني الحسن فيك أن لا تحرمها إفضالك ظنا جازما.

بَلْ لَيْتَ شِعْرِيْ علمي **أَتُرَاكَ** لا يظن ظان إنك **تُصِمُّ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا** أي الجحيم **أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِحَلاَوَةِ تِلاَوَةِ كِتَابِكَ الَّذِيْ أَنْزَلْتَهُ** على قلب نبيك محمد ﷺ حاشا ما وعدت لعامة أهل الإيمان، فكيف بخاصتك أهل القرآن إذ ورد أن النار تقول للمؤمن «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي».

أَوْ تَطْمِسُ بِالْعَمَى فِيْ ظُلَمِ مَهَاوِيْهَا جمع مهواة كالهوى جوها الفارغ المظلم الموحش والعمى ضد البصر، والمراد به هنا فقد بصرها الموجود **أَبْصَارًا** جمع بصر و المراد به هنا العين الباصرة أي التي من شأنها الإبصار **بَكَتْ** مشتاقة **إِلَيْكَ** لما استهواها الحب لك فسلكت طريق المحبة لا الخوف وهي أحسن وأسلم من طريق الخائفين لغلبة مطالعة الجمال على قلوبهم، إذ وارد الجمال يبقى، ووارد الجلال يفنى، فذاك يرقى فى

مراتب الشاكرين، وهذا في منازل الصابرين، وكلا الفريقين في مراتب المقربين السابقين، اللهم أدخلنا في عدهم، واحشرنا في زمرتهم من غير سابقة عذاب ولا عتاب إنك أكرم كريم وأرحم رحيم.

وحيث وقف في مقام المحبة استشعر **خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَفَزَعًا مِنَ الْحِسَابِ** بأن لا يكون صادقا في محبته لشهود تقصير في تشميره، فلما عرض عليه هذا العارض أدل إدلال المحب على حبيبه فأقسم بقوله، **أَمَا** حرف استفتاح مثل ألا و تكثر قبل القسم، وقد تكون بمعنى حقا، **وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ مَا أَصْغَتِ الْأَسْمَاعُ** إلى الإستماع والإنصات **حَتَّى صَدَّقَتْ** بالوعد والوعيد، وامتثلت للأمر والنهي، واعتبرت بالقصص والأمثال.

وَلَا أَسْبَلَتِ الْعُيُوْنُ وَاكِفَ الْعَبَرَاتِ حَتَّى أَشْفَقَتْ *وَلَا عَجَّتِ الْأَصْوَاتُ إِلَيْكَ بِالدُّعَاءِ حَتَّى خَشَعَتْ * وَلاَ تَحَرَكَتِ الْأَلْسُنُ نَاطِقَةً بِاسْتِغْفَارِهَا حَتَّى نَدِمَتْ * عَلٰى مَاكَانَ مِنْ زَلَلِهَا وَعِثَارِهَا *

وَلَا أَسْبَلَتِ الْعُيُوْنُ جمع عين **وَاكِفَ** مدرار **الْعَبَرَاتِ** جمع عَبْرَة بإسكانها: الدمعة، أو النفعة قبل فيضان الدمع، أو الحزن بلا بكاء **حَتَّى أَشْفَقَتْ** خافت فبكاها بكى محمود، والبكاء بالمد الدمع بلا صوت، وفضله معروف، وانشدوا لذي النون:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيله ووضعي على خدي يدي عند تذكاري

وإن طرقتنى عبرة بعد عـبرة تجرعتُها حتى إذا عيل تـصباري

أقضت دموعا جمة مستهلـة أطفي بها حرا تضمن أسـراري

فيا منتهى سول المحبين كلـهم أعني بخل الإنس مع كل زواري

ولست أبالي فأتيا بعد فـائت إذا كنت في الدارين يا واحداً جاري

وَلَا عَجَّتِ ارتفعت **الْأَصْوَاتُ** جمع صوت المنادية **إِلَيْكَ بِ**ألفاظ **الدُّعَاءِ حَتَّى خَشَعَتْ** خضعت أي تطامنت و تواضعت أو الخضوع في البدن، والخشوع في الصوت والبصر والسكون والتذلل، **وَلاَ تَحَرَكَتِ الْأَلْسُنُ** جمع اللسان **نَاطِقَةً** متكلمة **بِاسْتِغْفَارِهَا** طلبها المغفرة وهي الستر للذنب بعدم ذكره والمعاقبة عليه، **حَتَّى نَدِمَتْ**

أشفقت حزنت أشد الحزن وهو حِرقة القلب على الوقوع فى المخالفة وفعلها الحامل لها على ما يعقب ندامة، **عَلٰى مَاكَانَ مِنْ زَلَلِهَا** خطيئاتها **وَعِثَارِهَا** سقطاتها ومخالفتها.

«تنبيه» لا يغتر الناظر والسامع بما في هذا الدعاء من وصفه بالتضرع للأكف[1] إلى هنا، المستلزم للشهود وصفه، المتضمن للثناء على النفس فيظن أن المؤلف أراد ذلك، و إنما هو مع تحلِّيه بالصدق الذي حمله على الانبساط والإدلال في المناجاة التي هي شأن الصادقين في المحبة، أراد تعليمَ غيره بأنه لا ينفع مجرد الدعاء الخالي عما ذكره من الأوصاف، بل إتيانه بذلك فيه إشارة إلى أنها شرط لإستجابة الدعاء، وما استكمل الشروط من الدعاء فهو مستحق للإجابة بحكم الوعد، والله لا يخلف الميعاد، بل لابد من مراعاة الآداب التي ذكر أنه متحل بها، ليعلم السامع ذلك فينتج له العلم الحال، وينتج له الحال العمل.

ولما كان صاحب هذا المقام في المحبة راق له الشراب الموسوي الحامل له على ذلك كان معذورا، وأذكر هنا ما وقع لسيدنا موسى كليم الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الذي شرفه الله وفضله برتبة التكليم في قوله : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾، تَرَ فيه ما يدلك على ما فيه من

[1] أي رفع الأكف. (خ)

الإنبساط، فحديث نفسه الذي هو إلهام الله له، بأن فيها له مآرب أخرى بفيض المكالمة هو طلائع مشاهدتها في الصورة الثعبانية الحاصل بها تلقف بها الحبال السحرة وعصيهم، فسبحان الإله الحكيم المفضل الكريم الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، اللهم انظمنا في سلك أهل مودتك وأهلنا لما أهلته من خصصته بمعرفتك بفضلك ومنك يا أكرم الأكرمين آمين.

فَيَا مَنْ أَكْرَمَنَا بِالتَّصْدِيْقِ عَلٰى بُعْدِ أَعْمَالِنَا مِنْ شَوَاهِدِ التَّحْقِيْقِ * أَيِّدْنَا اللّٰهُمَّ مِنْكَ يَارَبِّ «ثلاثاً * فِيْ هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيْفَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمُعَظَّمَةِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ

فَيَا مَنْ أَكْرَمَنَا بِالتَّصْدِيْقِ الجازم بتوحيده وإلهيته وأن لا مفضل ولا خافض ولا رافع ولا معطي ولا مانع سواه، وما جاء على ألسنة أنبيائه ورسله من جميع ما أخبروا به و إقامة صوره بالامتثال للأوامر واجتناب النواهي ظاهرا، وهو وصف عباده أولي التخصيص الذين صفت قلوبهم بتصفية أعمالهم من شوائب الشرك الدقيق **عَلٰى بُعْدِ أَعْمَالِنَا مِنْ شَوَاهِدِ التَّحْقِيْقِ** للغفلة الحاصلة بكدورات الإشغال والجواذب النفسانية والدنياوية التي لم نخلص منها بما خلص منها أولئك المستغرقون بعبادته المستهترون بمحبته

أَيِّدْنَا اللّٰهُمَّ إفخامة النداء هنا، إشارة إلى عظم المطلب **مِنْكَ يَارَبِّ فِيْ هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيْفَةِ** المرتفعة على سائر الساعات أي الأحيان والأوقات الخالية عن مثل هذه العبادة. **الْمُبَارَكَةِ** بزيادة البركات ونمو الأعمال الصالحات واستجابة الدعوات **الْمُعَظَّمَةِ** بعظمة من لا يستحق العظمة سواه وهو سؤالنا لك. **عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآءنِ** المرة من ابتدائنا ثم ختمنا لكتابك القرآن المنزل على قلب نبيك محمد ﷺ الحاصل لنا بكل حرف عشر حسنات إلى ماشئت من المضاعفة.

بِالْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيْقِ * يَا كَرِيْمُ اللّٰهُمَّ وَآنِسْ وَحْشَتَنَا بِطَاعَتِكَ يَا مُوْنِسَ الْفَرْدِ الْحَيْرَانِ فِيْ مَهَامِهِ الْقِفَارِ *

بِالْعِصْمَةِ الحفظ عن جميع ما يسخطك، **وَالتَّوْفِيْقِ** لكل ما يرضيك وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد.

ثم إنه لما كانت الدنيا على أهل المعرفة والمقبلين على الآخرة موحشة منغصة لما فيها من قلة الأعوان وسوء الأقران الغافلين عن تلاوة القرآن، ومعاملة الزيان، فربما يتمنى المبتلون بذلك القدوم إلى الآخرة الفظيعة أهوالها على ما تقدم خشية الإفتتان في الدنيا، وقد ورد : « اللهم إذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»[1] ، و حيث ورد عنه ﷺ : «إذا ختم أحدكم فليقل اللّٰهم آنس وحشتي في قبري»[2]، وأسقط لفظ القرآن لتقدمه فى حديث قبله، أوردهما في الجامع الصغير.

قال : **اللّٰهُمَّ وَآنِسْ** اخلق في قلوبنا و صدورنا و سرائرنا ما يزيل **وَحْشَتَنَا** بِسبب **طَاعَتِكَ** الموجبة لذلك بفضلك، بأن تجعلنا من المتنعمين بها القائل قائلهم إن

---

[1] أخرجه الترمذي (**٣٢٣٣**)، وأحمد، وقال الحافظ في نتائج الأفكار : «حديث حسن».

[2] مسند الفردوس عن أبي أمامة و حكم الإمام السيوطي بوضعه كما قال السيد أحمد ابن الصديق الغماري في المغير ص٨٠.

كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب، يا ربنا **يَا مُوْنِسَ** خالق الأنس لأنه غير توقيفي في باطن **الْفَرْدِ** الواحد بلطفك وحفظك وعنايتك **الْحَيْرَانِ** بسبب انفراده و وحشته **فِيْ مَهَامِهِ** جمع مهمة المفازة الواسعة، **الْقِفَارِ** الأرض الخالية فإنك قادر على ذلك.

وقد اتفق لبعض الأولياء أنه بات ليلة أوليالي في أرض خالية وباتت حوله الأسود وهو فى غاية الأنس، ثم قال إني كنت مرة جالسا في مكان، فطار طائر بقربي فحصل لي من ذلك إنزعاج عظيم فعجبت من ذلك أو قريب من هذا إنتهى. فسبحان القادر على ما يشاء.

وَتَدَارَكْنَا بِعِصْمَتِكَ يَا مُدْرِكَ الْغَرِيْقِ فِيْ لُجَجِ الْبِحَارِ * وَخَلِّصْنَا اللّٰهُمَّ بِلُطْفِكَ مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ وَالْأَخْطَارِ * وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ*

وَتَدَارَكْنَا عند حصول أو توقع الهفوات والزلات **بِعِصْمَتِكَ** حفظك ولطفك **يَا مُدْرِكَ** يا قادرا كما تقدم على انقاذ **الْغَرِيْقِ** الواقع **فِيْ لُجَجِ** جمع لجة معظم البحر **الْبِحَارِ** جمع بحر المالح و يطلق على العذب سمي بحر لسعته، ويقال للمتسع في العلم بحرا.

وَخَلِّصْنَا اللّٰهُمَّ يا الله سلمنا ونجنا **بِلُطْفِكَ** رفقك من الوقوع فى الشيئ **مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ** الفظيعة **وَالْأَخْطَارِ** المعدة لمن عاقبتَه بعدلك بأن تدخلنا في دائرة أهل فضلك الفائزين في جميع مواطن الآخرة كالنعيم في القبر وما بعده مما هو لهم في النشر والحشر والظل بظله يوم لا ظل إلا ظله وغيرها من ورود الخوض والمرور على الصراط كالبرق الخاطف وطرف العين بفضلك ومنك يا أهل التقوى والمغفرة .

وَصَلَّى اللهُ رحم معظما، وقال مخبرا و آمرا في كتابه ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ أي يستغفرون له ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ قولوا اللهم صل على محمد، فهي من المؤمنين تضرع، فالصلاة من الله رحمة مقرونة

بالتعظيم، ومن الملائكة إستغفار، والخبر في قوله (وصلى الله) خبر بمعنى الإنشاء ويصح حمله على ظاهره بما أوَّلته، **وَسَلَّمَ** والسلام السلامة من كل آفة ونقص، ويكره إفراد الصلاة عن السلام لفظًا لاخطًّا فهي مع الكتابة تقتضي التلفظ به.

عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ مر الكلام عليه، المصطفى **الْمُخْتَارِ** المنتقى فقد روي عنه ﷺ « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» وفي حديث «إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا، تم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيارا من خيار» إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة الواردة في ذلك[1].

---

[1] بألفاظ معددة فمنها بلفظ «اصطفى». (خ)

*** وَعَلٰى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ الْأَخْيَارِ * صَلاَةً يَغْبِطُهُمْ بِهَا مَنْ حَضَرَ الْمَوْقِفَ يَوْمَ الدِّيْنِ ***

من هنا تكميل سيدي الوالد علوي بن سقاف لأن والده نفع الله به مات قبل تكميله، فاعلم ذلك ترشد : **وَعَلٰى آلِهِ** هم كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه : «مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب»، وقيل «هم مؤمنوا بني هاشم فقط» وهو قول مالك وأبي حنيفة، وقيل «ذرية فاطمة خاصة» وقيل «ذرية علي والعباس وجعفر وعقيل وحمزة وهم وارثوه لو فرض إنه يورث» وادعى بعضهم أن ما سوى هذا القول غلطٌ ورد. **الطَّيِّبِيْنَ** جمع طيب وهو المنزه عن رذائل الأخلاق **الْأَخْيَارِ** جمع خيّر بالتشديد لا جمع خير لأن أفعال التفضيل لا يثنَّى ولا يجمع **صَلاَةً** عظيمة ودل على عظمها قوله **يَغْبِطُهُمْ بِهَا** فتكون الجملة حالية أو صفة ثانية، والغبطة بكسر المعجمة حسن الحال والمسرة، وهي هنا تمني مثل النعمة التي على الغير وهي محمودة ومطلوبة إذا كانت في أمور الدين، بخلاف تمني زوالها عن المسلم، إذ هو الحسد فبينهما عموم و خصوص وجهي لإتفاقهما في التمني وافتراقهما في الزوال وعدمه، **مَنْ** بمعنى كل حاضر والذي **حَضَرَ** شهد **الْمَوْقِفَ** في يوم القيامة وهو **يَوْمَ الدِّيْنِ** أي الجزاء وله أسماء كثيرة منها يوم الحساب و اليوم الآخر ويوم الحآقة ويوم القارعة ويوم الحشر ويوم الفصل.

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ عَلٰى آبَائِهِ وَإِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ * وَعَلٰى آلِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْمُوْحِّدِيْنَ * وَعَلٰى أَزْوَاجِهِ

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ أعاد ذكر العامل هنا وهو صلِّ لرفعه شأن المعطوف ولأن غير الأنبياء. يكره إفراد الصلاة والسلام عليهم إذ هو من شعار أهل البدع **عَلٰى آبَائِهِ** صلى الله عليه وعليهم وسلم جمع أب وهو في الجد حقيقة أو مجاز والمراد بهم من كان في سلك سلسلة نسبه من الأنبياء وذلك كآدم و نوح وإبراهيم، **وَإِخْوَانِهِ** جمع أخ والمراد بهم من يجتمع به في أحد أجداده كموسى وعيسى و يوسف وغيرهم **مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ** من بيانية ولم يقل والنبيين لعله اختار مذهب القائلين بترادف النبي والرسول، إذ النبي مرسل إلى نفسه

وَعَلَى أَشْيَاعِهِ جمع شيعة، وشيعة الرجل أنصاره وأتباعه وشيعته ﷺ الناصرون لشريعته قولاً وعملا واعتقادًا ونية الثابتون على منهجه القويم وصراطه المستقيم التابعون لسنته وهم السواد الأعظم أهل السنة والجماعة **وَأَتْبَاعِهِ** جمع تابع وهو سالك طريقته ﷺ من الموحِّدين جمع موحِّد وهو من قال لآ إله إلا الله وعمل بمقتضاه ولم يأت بما يناقضه

وَعَلٰى أَزْوَاجِهِ جمع زوج، كما هو الفصيح والمتفق عليه إنهن إحدى عشرة أولاهن وأحقهن بالذكر والتقديم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، فكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، وهي أول من تزوج بها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وله حين تزوجها أحدى وعشرون سنة وقيل خمس وعشرون، ولها أربعون سنة وأشهر، وأولاده ﷺ منها (إلا إبراهيم وأمه سريته مارية القبطية) توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة ولها خمس وستون سنة، وحزن على موتها ﷺ، و حسن معاشرتها له وإيمانها الخالص، مع مالها من المناقب الحسنة التي أعظمها تسليم الله عليها على لسان جبريل و بشارتها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب أعظم دليل على أنها أفضل نسائه رضي الله عنها، ثم تزوج سودة بنت زمعة وأمها الشموس بنت قيس وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت نوبتها لعائشة فأمسكها، توفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين، ثم عائشة بنت أبى بكر الصديق أم المؤمنين تزوج عليها بمكة و هي بنت ست سنين، و بنى بها بالمدينة في شوال ولها تسع سنين، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة، وماتت بالمدينة سنة ست وخمسين أو ثمان وخمسين عن خمس وستين سنة، وكانت رضي الله عنها أفقه النساء مطلقا، وممن روت عنه ﷺ ألوفا، وأحب نسائه وأفضلهن إلاخديجة على الصحيح، ولم يتزوج النبي ﷺ بِكرًا غيرها، وناهيك بالبراءة من السماء المنزل فيها قرآن يتلى رضى الله عنها، ثم أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمينة المغيرة، وكانت من أكمل النساء،

تزوج عليها سنة أربع، وماتت سنة تسع وخمسين، ودفنت في البقيع، ثم أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وطلقها طلقة، فبكى عمر وحثا على رأسه التراب، وأوحى الله إليه أن راجعها فإنها صوامة قوامة، وكفى بهذا الثناء العظيم، توفيت سنة خمس وأربعين، ثم أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان تزوج عليها ﷺ بعد أن مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا، وزوجها النجاشي لوكيله عمرو بن أمية الضمري، ودخل بها سنة سبع، وماتت سنة أربع وأربعين، ثم أم المؤمنين زينب بنت جحش بعد زيد بن حارثة، زوجه الله إياها ودخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية، وكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، سنة خمس وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده، وقد قال النبي ﷺ «أسرعكن بي لحوقا أطولكن يدًا» ، فكانت أولهن موتا، و طول اليد كناية عن الصدقة، ماتت بالمدينة سنة عشرين، وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية، وكانت تسمى في الجاهلية أم المساكين سنة ثلاث، ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر وهي وخديجة مُتْنَ قبله ﷺ ، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف، و بنى بها فيه، وكان حلالا، وفي رواية كان محرما، معناه إنه في الحرم، على أن من خصائصه ﷺ أن ينكح محرِما، وماتت فيه سنة إحدى وخمسين، وقبرها مشهور يُزار، ثم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت

وقعت في سهم ثابت بن قيس، فجاءت لتسأل النبي ﷺ فقال : «هل لك إلى ما هو خير لكِ من ذلكِ أودي عنك كتابك وأتزوجك قالت : نعم» وكانت بنت عشرين سنة، ومانت سنة خمسين، ثم أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية من نسل هرون عليهم السلام، كانت رضى الله عنها تحت كنانة أبي الحقيق فقتل واصطفاها ﷺ لنفسه و بنى بها قبل أن يصل المدينة، وقد رأت أن قمرا وقع في حجرها، فقصت رؤياها على زوجها فلطمها لطمة فاحشة، وقال : «ما ذاك إلا أنك تتمنين محمدا ملك الحجاز» وكانت فاضلة جميلة ماتت في رمضان سنة خمسين، و دفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن.

الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَعَلٰى أَبِيْنَا آدَمَ وَأُمِّنَا حَوَّاء وَمَنْ وَلَدَا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَعَلٰى جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْن ❋

الطَّاهِرَاتِ من الأدناس قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، أو نساؤه من أهل بيته، بل مشى بعض المفسرين إن الضمير في عنكم ويطهركم للزوجات لدلالة سوابق الآية ولواحقها عليه، ولغة من يجعل الميم علامة المجمع النسوة تؤيد ذلك، وصح أن الله لم يزوجه إلا من ستكون معه في الجنة.

أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ بنص قوله تعالى ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ﴾ وذلك لا على الإطلاق بل من حيث حرمة نكاحهن والتعظيم والبر لا من حيث النظر والخلوة، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، **وَعَلٰى أَبِيْنَا آدَمَ** صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وعطفه بعد دخوله فى آبائه عطف خاص على عام، و لأجل يعطف عليه حواء للمناسبة، وهو أبو البشر مشتق من أديم الأرض ، والأدمة السمرة.

ونقل باشعيب ههنا كلاما في الخلاف هل هو مشتق أو غير مشتق، ثم قال : «وقال السيوطى : وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقال قوم : هو اسم سرياني، أصله آدام بوزن خاتام، عرب بحذف الألف الثانية، وقال الثعلبي : التراب

بالعبرانية آدم فسمي آدم، قال ابن أبي حيثمة، عاش تسعمائة سنة، وقال النووي أشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة» انتهى.

وَأُمِّنَا حَوَّاء بالمد ورسمها بالياء خطأ، وسميت بذلك لأنها خلقت من حيّ، وقيل لأن في ذقنها حوه أي سواد، **وَمَنْ وَلَدَا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ** من بيانية، وجميع ما على وجه الأرض من البشر من ذريتهما، والإيمان هو التصديق وهو إعتقاد السامع صدق المخبر، فمن صدق الله ورسوله بقلبه ولسانه فهو مؤمن كامل، ومن صدقهما بقلبه فهو مؤمن ناقص، ومن كذبها بقلبه وصدق بلسانه فهو منافق. **وَعَلَى جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ** سم جمع لصاحب وهو من اجتمع به مؤمنا ومات كذلك ولوصبيا وأعمى، وأفضلهم أبوبكر فعمر فعثمان فعلي فأهل الكساء فبقية العشرة، والدليل على أن الخلفاء أفضل من أهل الكساء قوله ﷺ فى الحسنين «وأبوهما خير منهما» فإن قلتَ : من اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم، ولكن محبته للمفضول تكون أكثر هل يكون إثما؟ قلتُ : إن كانت المحبة لأمر ديني فهي لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر وإلاحصل التناقض، وإن كانت لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوها فلا تناقض، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا لكونه من ذريته فلا تناقض ولا محذور في ذلك.

وَالتَّابِعِيْن وَتَابعِ التَّابِعِيْنَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلٰى يَوْمِ الدِّيْنِ ❋

وَالتَّابِعِيْن وهم من أخذ عن الصحابة واجتمع بهم، قال ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ». وقال ﷺ : « لا تمس النار مسلما رآني أو راء من رآني ». رواه الترمذي عن جابر رضى الله عنه، **وَتَابِعِ التَّابِعِيْنَ** وهم أصحاب التابعين، و قال ﷺ «لا يدخل النار مسلم رآني ولارآى من رآني ولا رآى من رآى من رآني» رواه الطبراني عن عبد الرحمن بن عقبة فتقييده ﷺ بالمسلم مخرج للمبتدع المكفِّر ببدعته كالخوارج، **مِنْ يَوْمِنَا** متعلق بـ(صل)، ومن للإبتداء، واليوم يطلق لغة على مطلق الزمان من ليل أو نهار يوما كان أو أقل أو أكثر، **هَذَا** أي الذي حضرنا فيه ختم كتابك، صلاة مستمرة لا انقطاع لها **إِلٰى** للإنتهاء **يَوْمِ الدِّيْنِ** أي الجزاء.

وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.. يا الله * وَهَبَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ وَلِوَالِدِيْنَا وَلِوَالِدِيْكُمْ وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ سَوَالِفَ الْآثَامِ * وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ فِيْمَا بَقِيَ مِنَ الْأَيَّامِ * وَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمِنْهُمُ الصَّلاَةَ وَالْقِرَاءَةَ وَالصَّدَقَةَ وَالدُّعَاءَ وَالْحَجَّ وَالصِّيَامَ *

وَعَلَيْنَا أي معشر الحاضرين لختم كتابك المكثرين لسوادهم، كما قال ﷺ : «من كثر سواد قوم كان منهم» ، فارحمنا اللهم **مَعَهُمْ وَفِيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.**

روى الحاكم عن أبي أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن لله ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثا، قال له الملك : إن الله أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل ».

ولما انتهى إلى هذا الفصل ورجا بحسن ظنه الجازم المطابق لفضل الله وجوده وكرمه وإفضاله الإجابة بعد أن أَلَحَّ في الدعاء، واستحق المحبة لقوله ﷺ : «أن الله يحب الملحين في الدعاء» ، أبرز هذا الفصل بصيغة الماضي كأنه لتحقق وقوعه من أكرم الأكرمين قد وقع، فقال :

وَهَبَ اللهُ تفضُّل ومَن، جُودًا وإحسانًا **لَنَا وَلَكُمْ** معشر الحاضرين لختم كتابه **سَوَالِفَ** سوابق وهي ضد الخوالف **الآثَامِ** جمع إثم وهو الذنب، **وَعَصَمَنَا** حفظنا بما

حفظ به أولياءه، فالعصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء وهو السلامة من ارتكاب المنهيات وترك المأمورات، **وَإِيَّاكُمْ** معشر الحاضرين حسي و **(وَإِيَّاهُمْ)** معنوي، **فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْأَيَّامِ** والليالي الخالفة وخص الأيام لأنها وقت الإكتساب والمجئ والذهاب.

وَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ (وَمِنْهُمْ) معشر الحاضرين، **الصَّلاَةَ** اللام فيها للجنس أو للإستغراق، فشمل الصلاة المفروضة والمندوبة في جميع الأوقات الماضية والمستقبلة، والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعاً أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، و اعترض بأنه غير مانع لدخول سجدة التلاوة والشكر، وربما اعترض ولا يتم التعريف إلا بقيد بعد أقوال منها قراءة الفاتحة القرآءن إلى آخره الجد وزيادة غالبا لدخول صلاة الأخرس، ردَّ بأن الكلام فى الغالب. **وَالْقِرَاءَةَ** هذه وغيرها من ما اشتملت عليه الصلاة وغيرها **وَالصَّدَقَةَ** الواجبة والمندوبة **وَالْحَجَّ** والعمرة **وَالدُّعَاءَ** هذا وغيره، **وَالصِّيَامَ** الواجب والمندوب.

وَأَحَلَّنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ دَارَ السَّلاَمِ * وَلاَ أَرَانَا وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ قَبِيْحاً بَعْدَ هٰذَا الْمَقَامِ * وَتَلَقَّانَا وَتَلَقَّاكُمْ وَتَلَقَّاهُمْ وَتَلَقَّى سَادَاتِنَا وَسَادَاتِكُمْ * وَأَمْوَاتَنَا وَأَمْوَاتَكُمْ وَأَمْوَاتَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالْإِتْحَافِ والْإِجْلاَلِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِعْظَامِ وَالْإِنْعَامِ * وَصَلَّى اللهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ *

وَأَحَلَّنَا أسكننا **وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ دَارَ السَّلاَمِ** أي الجنة التي من طبقاتها دار السلام، لأنها سبع أعلاها الفردوس **وَلاَ أَرَانَا وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ** معشر المحاضر صنعا **قَبِيْحاً بَعْدَ هٰذَا الْمَقَامِ** بفتح الميم **وَتَلَقَّانَا وَتَلَقَّاكُمْ وَتَلَقَّاهُمْ وَتَلَقَّى سَادَاتِنَا وَسَادَاتِكُمْ** مشايخنا في الدين ومعلمينا العلم والآداب، الأحياء منهم والأموات، **وَأَمْوَاتَنَا وَأَمْوَاتَكُمْ** من انتسبنا إليه أو انتسب إليه أو انتسب إلينا برحم أي عصوبة أو رضاع أو مصاهرة، **وَأَمْوَاتَ الْمُسْلِمِيْنَ** عطف عام على خاص، وقد مرَّ جواز الدعاء لعموم المسلمين، **بِالْإِتْحَافِ والْإِجْلاَلِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِعْظَامِ** لنا ولهم **وَالْإِنْعَامِ** علينا وعليهم. **وَصَلَّى اللهُ** رحم معظما **عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ** بشهادة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وخيرية الأمة تستلزم خيرية نبيها.

وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْخِيَرَةِ الْبَرَرَةِ الْكِرَامِ * مَصَابِيْحِ الظَّلاَمِ * أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلاَمِ * وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْرًا * وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْن * وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْن * وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْن

وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْخِيَرَةِ بفتح الياء ويجوز إسكانها كما رأيتُه في بعض كتب السيوطي منقولا عن الصحاح، قال : «وهو الإسم من قولك اختاره الله، يقال فلان خيرة الله من خلقه» ، **الْبَرَرَةِ** جمع بارّ، ذوي الإحسان وهو المفسر في حديث الصحيحين بـ«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، **الْكِرَامِ** جمع كريم أي الطيبين الأصول والنعوت والظاهر بها، و قد أخبرني بعض تلامذة الوالد نفع الله به عنه أنه استحسن تفسير الكريم بـ«السالم من كل نقص جامع لكل صفة كمال» في حالة الدرس وهو معنى هذا، **مَصَابِيْحِ الظَّلاَمِ** جمع مصباح وهو السراج، وصفهم بالمصابيح لأنهم يهتدى بهم في ظلمات الجهل، **أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلاَمِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْرًا** جمع بين الصلاة والسلام إتباعا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾، **وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ** على النعم التي لا تحصى، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾، وأعظم النعم نعمة الإسلام، ومنها أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ومنها أن جعلنا من أهل السنة والجماعة، ومنها أن جعل لنا الدعاء سببا للتوصل للمطالب الدينية والدنيوية.

قال با شعيب نقلا عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري «الحمد في الحقيقة إنما هو على الإنعام الذي هو من أفعاله تعالى لا على المنعم به، ولأن الحمد على المنعم به إنما هو باعتبار صدوره عنه» انتهى.

قال تلميذه ابن حجر رحمه الله في شرح العباب «ويسن أن يمسح وجهه بيديه يعني بعد الدعاء، قال الحليمي : والمعنى فيه التفاؤل بأن كفيه قد مليتا خيرا فيفيض منه على وجهه، وأن يحمد ويشكر على الإجابة» انتهى.

وفيه أيضا استجاب المزيد الواجب بوعده تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

لو لم ترد ينل ما أرجو وأطلبه   من جود كفيك ما علمتني الطلبا

اهـ كلام با شعيب.

واعلم أن بين الحمد والشكر خصوصا و عموما من وجه، فمورد الحمد اللسان ومتعلقه النعمة وغيرها، ومورد الشكر اللسان والقلب والأركان ومتعلقه النعمة، فالحمد من حيث المورد خاص والمتعلق عام، وعكسه الشكر.

شكر الله سعينا، ورحمنا وغفر لنا ولوالدينا ومن كان سببًا لإكمال هذا الشرح، ووالديه وجميع المسلمين آمين آمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ من تسويد هذه الورقات بكرة الأربعاء رابع عشر جمادي الأولى سنة سنتين وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من زبر هذه النسخة يوم الجمعة **١٧** جمادي الأولى من شهور سنة **١٣٧٥** هـ خمس وسبعين و ثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام انتهى بقلم الفقير إلى ربه الملك القدوس عبدالله بن علوي العيدروس. (من الأصل)